الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تداوليَّة أزمنة الأفعال الماضي بمعنى المضارع والمضارع بمعنى الماضي ـ النصف الثَّاني من القرآن نموذجًا .

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي ـ تخصص لغة .

إعداد الطالبتين :

- سميرة دادة .
- فاطمة سنيقرة .
- مروة دو .

إشراف الدكتور :

- عبد الرؤوف عباس .

السنة الجامعيَّة :1441 ـ 1442هـ/2019 ـ 2020م .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر ــ الوادي

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

تداوليَّة أزمنة الأفعال الماضي بمعنى المضارع والمضارع بمعنى الماضي ـ النصف الثَّاني من القرآن نموذجًا .

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي ـ تخصص لغة .

إعداد الطالبتين :

- سميرة دادة .
- فاطمة سنيقرة .
- *مروة دو .*

إشراف الدكتور :

- عبد الرؤوف عباس .

السنة الجامعيَّة :1441 ــ 1442هـ/2019 ــ 2020م .

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾

[المجادلة :11] .

مقدمة

نحمدك اللَّهم أنت العزيز الغفَّار، ونصلي ونسلِّم على نبيِّك المختار، وعلى آله الأطهار أمَّا بعد :

اللُّغة العربيَّة لغة خالدة نراها تسمو وتزهو على مرِّ الزَّمان، بما اِشتملت عليه من مظاهر الإبداع والإقناع متحليَّة ألوانًا من الجمال وأنواعًا من المفردات والجمل مختلفة الدلالات والاِستعمالات حيث تتظاهر فيها الحركات بالمعاني وتتباين فيها المفردات بالمباني وتستأثر التراكيب بالفهم والإفهام .

وقد حوت هذه اللُّغة الكريمة الكثير من الظواهر حيث نالت ظاهرة العدول قسطًا وافرًا من جهد الباحثين العرب ومن أهم مباحثهم دلالة الأفعال في السياق القرآني، فأبنيَّة الأفعال لا يمكن أن تدلَّ على الزَّمن بأشكاله وصوره الحقيقيَّة إلَّا من خلال تراكيبها ضمن الجمل فقد تشتمل على قرائن تعين الفعل على تحديد الزَّمن، ثم إنَّ الله تعالى قصَّ في القرآن الكريم قصص وأخبار الأمم السابقة فكان لزامًا إيراد أفعال تحكي ما فَعَلَ هؤلاء وما فُعِلَ بهم، وكيف كانت هذه عاقبة الظالمين منهم، كما أنَّه جعل للعباد موعدًا يرجعون فيه إليه بعد هذه الحياة الدنيا، فكان لزامًا أن يورد أفعالًا تخبر عن هذا اليوم العظيم، فيستشعر المتدبر لكتاب الله تعالى حقيقة الزَّمن أحداث مضت، وأخرى حاضرة، وأحداث غيب آتية بوعد الله، حيث لا يخلف الله الميعاد وكل ذلك بمقتضيات اللُّغة وقوانينها الصوتيَّة والصرفيَّة والتركيبيَّة والدلاليَّة، ومن هنا جاء موضوع البحث موسومًا بـ :**تداوليَّة أزمنة الأفعال الماضي بمعنى المضارع والمضارع بمعنى الماضي ـ النصف الثَّاني من القرآن نموذجًا** .

معالجًا اِشكاليَّة رئيسيَّة تتمثل في :البحث عن أسرار هذا التغاير وغاياته متسائلين عن دوافع هذا العدول بين الفعلين ـ الماضي والمضارع ـ وعن آثاره المعنويَّة الجماليَّة، وهل يقع

هذا التغاير في اللُّغة لغاية بيانيَّة فقط؟ أم أنَّ وضع المتلقي وسياق خطاب هما اللَّذان يفرضانه؟ وكان واجبًا أن نفرع الإشكاليات الجزئيَّة التاليَّة :

- ما هو مفهوم العدول؟ وأين تكمن وظيفته؟ ومجالاته؟ .
- أين تكمن المواضع التي يحدث بها العدول؟ .
- وإكتشاف الدلالات لحدوث هذا التغيير في الأفعال؟ .
- وكيفيَّة دراسة العدول دراسة تداوليَّة؟ .

إنَّ الأسباب الكامنة وراء إختيار الموضوع تعود إلى ناحيتين أساسيتين :

ـ الأولى :ذاتيَّة، وهي الميل إلى البحث اللُّغوي، بوصفه دافعًا أساسيًّا لإختيار مادة البحث، وبما أنَّ القرآن يعدُّ المعين الأساسي للسان العربي، أثرنا أن نبحر مع من أبحروا فيه، علَّنا نكتنه شيء من أسراره، أو نقدِّم جديدًا يكون معينًا للمتعلِّم، مستفيدًا منه .

ـ الثانيَّة :موضوعيَّة، وهي دراسة الموضوع، وإن كثرت الدراسات حول هذه الظاهرة مسلِّطين الضوء على جانب من جوانبها كاشفين عن إبداعيَّة النص القرآني وما فيه من ثروة بلاغيَّة ونظم وإعجاز .

تكمن أهميَّة هذه الدِّراسة في الوصول إلى جملة من الأهداف أهمها :

ـ معرفة الأسرار التي تحملها هذه الظاهرة وما تحمله من أسرار نحويَّة وصرفيَّة وبلاغيَّة .

ـ الكشف عن الأسس الفنيَّة التي كانت وراء هذا التوظيف الفني والبلاغي لصيغة الماضي عن المضارع والعكس بالعكس .

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في :مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة، فأمَّا المقدمة فكانت عرضًا لأهميَّة الموضوع وطبيعته، والمدخل تعرضنا فيه إلى تحديد المفاهيم

والمصطلحات التي تخص هذا الموضوع، أمَّا الفص الأوَّل :فخصصناه لتناول الجانت النظري من هذه الدِّراسة وعنونا بـ (دراسة نظرية) وجاء في مبحثين :

المبحث الأوَّل :العدول اللُّغوي، وأهم مجالاته، وقد اِشتمل على تعريف لهذه الظاهرة وغيره من المصطلحات التي أطلقت عليه مبينين وظيفته وأهم المجالات والصور التي وردت في القرآن الكريم والقيمة البلاغيَّة لهذه الظاهرة .

المبحث الثَّاني :أزمنة الأفعال، الماضي بمعنى المضارع، المضارع بمعنى الماضي، اِشتمل هذا المبحث على تعريف الفعل الماضي وذكر أشهر أزمنته مبيِّنين القرائن التي تساعده على تحميله معنى الزَّمن المضارع، وكذلك نفسه الفعل المضارع .

أمَّا الفصل الثَّاني :فكان دراسة تطبيقيَّة لهذه الدِّراسة واِشتمل على مبحثين تضمَّنا تحليلًا للآيات القرآنيَّة التي جاءت بزمن الماضي بمعنى المضارع، والآيات التي جاءت بزمن المضارع بمعنى الماضي مبيِّنين النكت البلاغيَّة فيها .

وقد ذيَّلنا الفصل التطبيقي بملحق اِشتمل على جدول إحصائي لمواضع العدول (الماضي بمعنى المضارع، المضارع بمعنى الماضي) ومواقعها في الجزء الأخير من كتاب الله العزيز .

أمَّا الخاتمة فكانت تلخيصًا لأهم النتائج المتحصَّل عليها في هذه الدِّراسة .

نهج البحث منهجًا وصفيًّا تحليليًّا مستعينًا بالمنهج الإحصائي في الدِّراسة التطبيقيَّة .

مستقين مادة البحث من مصادر ومراجع أهمها :

ـ فاضل صالح السامرائي :معاني النَّحو .

ـ علي جابر المنصوري :الدلالة الزَّمنيَّة في الجملة العربيَّة .

ـ محمد الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير .

ونشير هنا إلى بعض ما صادف البحث من صعوبات، لعل أشدَّها :

ـ تزامن بحثنا هذا والأزمة العالميَّة، ألَّا وهي فيروس كرورونا الذي تسبب بغلق جميع مجالات العلم والمعرفة نظرًا للظروف الوقائيَّة .

ولا ندعي السبق في هذا الموضوع، ولا اِكتمال ناصيَّة البحث، وإنَّما نُقِرُّ أنَّه يعتريه بعض النقص في بعض جوانبه، وهذا النقص يتطلب ذوي الخبرة والتخصُّص في الميدان .

ولا يسعنا في هذا المقام إلَّا أن نقدم جزيل الشكر والاِمتنان لدكتورنا الفاضل **"عبد الرؤوف عباس"** الذي سعى بكلِّ إخلاص على توجيهنا وإرشادنا، فما كان هذا البحث ليستوي بهذه الصورة لولا توجيهاته ونصائحه القيِّمة، فجزاه الله عنا خير الجزاء، ونسأل الله أن يضع ذلك في ميزان حسناته .

سدد الله خطانا جميعًا على طريق العلم والمعرفة وخدمة لغة القرآن الكريم لنحظى برضاه تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

مدخل:تحديد المفاهيم والمصطلحات .

"برز اِتجاه جديد في الدراسات اللغويَّة، ويتمثل في التداوليَّة التي تعد مبحثًا جديد من مباحث الدراسات اللِّسانيَّة، حيث شدَّت اِتجاه الدارسين لاسيما في العقود الثلاثة الأخيرة، وهو درس لايزال غزيرًا حيويًّا منتجًا يمد ساحة الدراسات اللُّغويَّة والمعرفيَّة بأفكار ومفاهيم ورؤى جديدة، ويُقيم الروابط العلميَّة بين فروع علميَّة متعددة، ضمن أجل دراسة الأبعاد الاِستعماليَّة للغة أصبح لزامًا على الباحث الوعي بجوهر الخطاب التداولي وأبعاده المنهجيَّة والتطبيقيَّة، وهو خطاب معرفي وإجرائي في الوقت ذاته، رصد أنماط الاِستدلال وطرق معالجته الملفوظات باِعتبارها الكفيلة بتحقيق تلك الغاية الدراسيَّة في إطار التواصل ومقتضياته التفاعليَّة[1]" .

1ـ تعريف التداوليَّة :

أ/ـ لغةً :عرفها الجوهري في كتابه :«دول :الدَوْلَةُ في الحرب :أنْ تُدَالَ إحدى الفئتين على الأخرى، يقال :كانت لنا عليهم الدَوْلَةُ، والجمع الدُوَلُ، والدُولةُ بالضم، في المال، يقال :صار الفئة دُولَةُ بينهم يتداولُنَهُ، ويكون مرة لهذا ومرة لهذا، والجمع دُولَاتٌ ودُوَلٌ، وقال أبو عبيد : الدَولةُ بالضم :اِسم الشيء الذي يتداولُ بعينه[2]» .

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري :«دَوَلَ دالت له الدَّولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بين فلان من عدوّهم :جعل الكرَّة لهم عليه، وعن الحجاج :إن ستدال منا كما أدلنا منها وفي مثل يدال من البقاع كما يدال من الزجاج وأديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد، واِستدلت من فلان لأدال منه، واِستدل الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدَّهر دول وعقب ونوب، وتداولوا الشيء بينهم والماشي يداول بين قدميه

---

[1]/– مسعود صحراوي :الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مجلة الآداب واللغات، جامعة ثلجي عمار، الأغواط ـ الجزائر، ع5، ديسمبر 2005، ص :33 .

[2]/– الجوهري إسماعيل بن حماد :الصحاح تاج والصحاح العربيَّة، دار علم للملايين، بيروت، 1990م، ط4، ج4، ص : 1699، 1700 .

ويراوح بينهما وتقول دواليك أي دالت لك الدولة كرَّه بعد كرَّه وفعلنا ذلك دواليك بعضها في أثر بعض[1]» .

فالملاحظ على المعاجم العربيَّة أنَّها لا تكاد تخرج في دلالاتها للجذر دول معاني التحول والتبدل والإِنتقال، سواء من مكان أو آخر أم من حال إلى حال، ممَّا يقتضي وجود أكثر من طرف واحد مشترك في فعل التحول والتغيُّر والتبدل والتناقل .

ب/ـ <u>إصطلاحًا</u> :قد تختلف التداوليَّة في تعريفها من شخص إلى آخر :

إنَّ أقدم تعريف لها هو تعريف "موريس Morris" سنة 1980م :«إذ إنَّ التداوليَّة جزء من السيميائيَّة، التي تعالج العلاقات بين العلامات ومستعلمي هذه العلامات، وهذا التعريف واسع يتعدى المجال اللِّساني (إلى السيميائي)، والمجال الإنساني (إلى الحيواني والآلي)[2]» .

وعرفها جورج يول :«فهي دراسة العلاقات بين الصيغ اللُّغويَّة ومستخدمي هذه الصيغ[3]» .

وعرفها مسعود صحراوي :«فالتداوليَّة ليست علمًا لغويًّا محضًا، بالمعنى التقليدي، علمًا يكتفي بوصف وتفسير البنى اللُّغويَّة ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللُّغويَّة في مجال الإِستعمال، ويدمج، مِنْ ثمَّ، مشاريع معرفيَّة متعددة

---

[1]/- الزمخشري :أساس البلاغة، تر :محمد جاسل عيوني السود، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت ـ لبنان، ط1، 1998م ص :303 .

[2]/- فرانسواز أرمينيكو :المقاربة التداوليَّة، تر :سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1987م، ص :1 .

[3]/- جورج يول :التداوليَّة، تر :قصب العنابي، دار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط1، (1431هـ/2010م)، ص : 20 .

في دراسة ظاهرة "التواصل اللغوي وتفسيره"[1]» .

ويعرفها طه عبد الرحمان :«وعلى هذا فالتداول، عندنا، متن تعلق بالممارسة التراثيَّة، هو وصف لكل مكان مظهرًا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أنَّ المجال في سياق الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقًا مكانيًّا وزمنيًّا لحصول التواصل والتفاعل، فالمقصود بمجال التداول في التجربة التراثيَّة، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث[2]» .

وعلى هذا نستنتج أنَّ التداوليَّة تختص بدراسة اللغة ومجالات اِستعمالاتها فيها قائمة على فهم الإنسان لذاته ولعالمه فتكون في المقام الأوَّل لأنَّها تعبر له عن الفهم وهي تهتم بالعناصر التاليَّة :المتكلم، الخطاب، والظروف المحيطة بالعمليَّة الإتصاليَّة .

2ـ نشأة التداوليَّة :

"يرجع أوَّل اِستعمال لمصطلح التداوليَّة إلى الفيلسوف "تشارلز موريس Charhes Mouris"، حيث ميز الفيلسوف في مقال كتبه في موسوعة علميَّة، بين مختلف التخصصات التي تعالج اللغة وهي علم تركيب، وعلم الدلالة، وأخيرًا التداوليَّة التي تُعنى في رأي موريس بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها[3]" .

---

[1]/– مسعود صحراوي :التداوليَّة عند العلماء العرب (دراسة التداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللِّساني العربي)، دار طليعة، بيروت ـ لبنان، (د/ط)، 2005م، ص :16 .

[2]/– طه عبد الرحمان :تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ط2 2005م، ص :244 .

[3]/– آن روبول، جاك موشلار :التداوليَّة اليوم علم جديد في التواصل، تر :سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة والنشر، بيروت، ط1، 2003م، ص :29 .

"فالتداوليَّة لم تصبح مجالًا يعتد به الدرس اللغوي المعاصر إلَّا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفور هم "أوستين J.L.Austin" و "سيرل J.R.Searle" و "جرايس H.P.Grice"، (مع أنَّ سيرل وجرايس أتما تعليمهما في كالوفورنيا) وقد كان هؤلاء الثلاثة من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعيَّة Naturallanguge أو Ordinary عاديَّة، في مقابل اللغة التشكليَّة أو الصوريَّة Eorlnal Language التي يمثلها "كارناب Carnap"، وكانوا جميعًا مهتمين بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانيَّة الطبيعيَّة من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى المستقبل يفسرها وكان هذا من صميم عملهم، وهو من صميم التداوليَّة أيضًا، ومن الغريب أنَّ أحد منهم لم يستعمل مصطلح التداوليَّة فيما كتب من أبحاث[1]" .

"عندما ألقى الفيلسوف جون أوستين محاضرات وليام جايمس عام 1955م، لم يكن يفكر في تأسيس اِختصاص فرعي للسانيات، فلقد كان هدفه تأسيس اِختصاص فلسفي جديد وهو فلسفة اللغة، ونجح في ذلك، بيدأ أنَّ محاضرات وليام جايمس ستكون كذلك بوتقة التداوليَّة اللِّسانيَّة، وستمثل فيها قطب الرحلة طوال ثلاثين سنة[2]" .

---

[1]/- محمود أحمد نخلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيَّة، الإسكندريَّة، (د/ط)، 2002م، ص : 9، 10 .

[2]/- آن روبول، جاك موشلار :التداوليَّة اليوم علم جديد في التواصل، ص :29 .

3ـ مباحث التداوليَّة :

أ/ـ الإِستلزام الحواري (المحادثي) :

"يعدُّ الإِستلزام الحواري من أهم الجوانب في الدرس التداولي، فهو ألصقها بطبيعة البحث فيها لقد كانت نقطة البدء عند جرايس هي أنَّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممَّا يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الإِختلاف بين ما يقال Ohat Issaid، وما يقصد What is Meant فما يقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظيَّة Face Values، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر إِعتمادًا على أنَّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الإِستعمال ووسائل الإِستدلال، فأراد أن يقيم معبرًا بين ما يحمله القول من معنى صريح Escplicitmeaning، وما يحمله من معنى متضمن Imescplicite meaning، فنشأت عنده فكرة الإِستلزام Inplicature[1]" .

"لاحظ بعض فلاسفة اللغة واللِّسانيين والتداوليين، وخصوصًا الفيلسوف غرايس، أنَّ عمل اللغات الطبيعيَّة في بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي، ويتضح ذلك من خلال الحوار الآتي بين الأستاذين (أ) و (ب) .

ـ الأستاذ (أ) :هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعيَّة في قسم الفلسفة؟ .

ـ الأستاذ (ب) :إنَّ الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز[2]" .

لاحظ عند تأملنا في دلالة الإجابة نجدها أنَّها تدل على معنيين في نفس الوقت، حرفي ومستلزم، الحرفي ما يقصده مباشرة؛ أي أنَّ الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز، والثاني يحتاج إلى

---

[1]/– محمود أحمد نخلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص :32 .

[2]/– مسعود صحراوي :التداوليَّة عند العلماء العرب، ص :33 .

تركيز لفهم الإجابة، وهنا يقصد أنَّ الطالب (ج) ليس مستعد لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة .

ونستنتج أنَّ الكلام ليس مقصد واحد قد تتعدد مقاصده، وليس كلُّ ما يقوله المتكلم يفهمه السامع؛ قد يفهمه، أو يفهم جزء منه، أو يفهم عكس ما يقوله المتكلم .

ب/ـ المقصديَّة :

"وهو مبدأ تتفرع منه عدَّة قواعد، أهمها قاعدة القصد، ومقتضاه ضرورة الكلام، بالإِعتماد على كفاءة المخاطِب والمخاطَب، الذي ركزت عليه البلاغة العربيَّة، في ميدان الدراسات التداوليَّة، بإِعتباره أحد فروعها[1]" .

"وتشكل ظهور نظرية أفعال اللغة، صلة جديدة بين المقصديَّة والتداوليَّة، وتتجلى مقولة المقصديَّة بالخصوص في الربط بين التراكيب اللُّغويَّة ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب، في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداوليَّة للظاهرة اللغويَّة[2]" .

فبدون معرفة المقاصد، لا يمكننا فهم كلام المتكلم الذي ينوي إيصاله للسامع، فللمتكلم دور بارز في نظرية المقاصد تربطه بالخطاب عن طريق علاقة التأثير والتأثر أثناء تأديَّة الكلام .

ج/ـ الفعل الكلامي :

تعدُّ نظرية الأفعال الكلاميَّة من أهم النظريات الحديثة التي شغلت الباحثين، وقد اِعتبرت من أهم مجالات التداوليَّة .

جاء بها الفيلسوف المعاصر "ج.أوستين J.L.Austin" (ت.1969م) وطورها تلميذه الفيلسوف "ج.سيرل J.R.Searle" بإعطائها صيغتها النموذجيَّة النهائيَّة، فقد تعمق أوستين في

---

[1]/- فتيحة سوفلي :المقصوديَّة عند عبد القاهر الجرجاني (دراسة تداوليَّة)، إشراف :صورية بوصوار، مذكرة لنيل شهادة الماستر كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربيَّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، (2016/2015م)، ص :16 .

[2]/- مسعود صحراوي :التداوليَّة عند العلماء العرب، ص :10 .

إنجاز فلسفة دلاليَّة تهتم بالمضامين والمقاصد التواصليَّة وتختلف كما عرفناه عند علماء الدلالة اللغويين، وخصوصًا البنويين منهم، فقد كان أوستين يلح على القيمة التداوليَّة لعبارات كثيرة تستخدم في اللغة الإنجليزيَّة، وربما في كلِّ اللغات .

"وبالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوف ج.أوستين وتلميذه ج.سيرل حول هذا المفهوم اللِّساني التداولي الجديد، فإنَّ "الفعل الكلامي" يعني :التصرف (أو العمل) الاِجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمَّ فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم، بمجرد تلفظه بملفوظات معيَّنة، ومن أمثلته :الأمر، والنهي، والوعد... فهذه كلها أفعال كلاميَّة إذ أطبقنا هذا المعنى على اللغة العربيَّة، فإنَّ المقاصد والمعاني والإفادات التي تستفاد من صيغ التواصل العربي وألفاظه وتجيب عن جدوى تطبيق هذا المفهوم التداولي المعاصر على التراث اللغوي العربي[1]" .

فاللغة ليست مجرد وسيلة تواصل وتبليغ بل هي أداة يستعملها المتكلمون للتأثير في المتلقي .

4ـ علاقة التداوليَّة بعلم الدلالة :

مازالت دراسة علم الدلالة لا تتميز معالمها من دراسة علة آخر تتداخل جزئيًّا معه، وهو علم التخاطب الذي يترجمه بعض اللِّسانيين بالذرائعيَّة حبنا والبتداوليَّة، فالدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر[2]، والشيء الأوَّل هو الدَّال، والثَّاني هو المدْلول[3] والتداوليَّة هي اِستعمال اللغة في الخطاب شاهدة بذلك في مقدرتها الخطابيَّة[4]، وتعرف أيضًا

---

[1]/- مسعود صحراوي :التداوليَّة عند العلماء العرب، ص :10، 11 .

[2]/- محمد محمد يونس علي :مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، (د/ط)، (د/ت)، ص 1 .

[3]/- الشريف الجرجاني :التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، (د/ط)، (د/ت)، ص :91 .

[4]/- فرانسواز أرمينيكو :المقاربة التداوليَّة، ص :7 .

بأنَّه دراسة كيف يكون للمقولات معانٍ في المقامات التخاطبيَّة، وهو بذلك يتميز عن علم الدلالة الذي يدرس المعنى وفقًا للوضع فقط، وبمعزل عن السياق والمقامات التخاطبيَّة[1] .

ونرى أنَّ هناك نقاط تكامل رغم وجود نقاط اِختلاف بينهما، فالدلالة تبحث في المعنى بعيدًا عن السياق الحقيقي، والتداوليَّة تربط دراسة المعنى بالسياق، أتت لتكمل وتدرس ما أغفلته الدلالة، كل من التداوليَّة وعلم الدلالة يشتركان في دراسة المعنى في اللغة، إلَّا أنَّهما يختلفان في كيفيَّة دراستها .

[1]/- محمد محمد يونس علي :مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص :13 .

الفصل الأوَّل :دراسة نظريـة :

المبحث الأوَّل :العدول اللُّغوي، وأهم مجالاته .

المبحث الثَّاني :أزمنة الأفعال، الماضي بمعنى المضارع، المضارع بمعنى الماضي .

المبحث الأوَّل :العدول اللُّغوي، وأهم مجالاته :

أوَّلًا :مفهوم ظاهرة العدول :

1ـ التعريف اللُّغوي :

إنَّ المتصفح للمعاجم اللُّغويَّة يجد لمادة (ع.د.ل) العديد من الدِّلالات منها :النظير الترك، الفداء... لكنَّنا سنخصِّص البحث حول الظاهرة التي نحن بصدد دراستها .

ـ جاء في معجم العين من مادة (ع.د.ل) ما يلي :

"والعدل أن تعدل الشيءُ عن وجهه فتميله، عدلته عن كذا، وعدلت أنا عن الطريق وعدلت الشيء أقمته حى اِعتدل، قال :

صَبَحْتُ بها القوم حتى اِمتسكْ ... ـتُ بالأرض أَعْدِلُها أَنْ تَميلا .

أي :لئلا تميل[1]" .

"وعدلت الدابة إلى كذا :أي :عطفتها فاِنْعَدَلَتْ، والعدل :الطريق، ويقال :الطريق يعدل إلى مكان كذا، والاِنعدال :الاِنعراج[2]" .

ـ وجاء في لسان العرب من نفس المادة ما يلي :

"وعدل عن الشيء يعدل عدلًا وعدولًا :حاد عن الطريق :جار، وعدل إليه عدولًا :رجع وماله معْدِل ولا معْدول؛ أي :مصرف، وعدل الطريق :مال[3]" .

ـ أمَّا في مقاييس اللُّغة فهذه المادة المعجميَّة جاء فيها ما يلي :

"العين والدَّال واللَّام أصلان صحيحان، لكنها متقابلان كالمتضادين :أحدهما يدل على اِستواء، والآخر يدل على اِعوجاج، فالأوَّل :العدل من النَّاس :المرضي المستوى الطريقة، يقال

---

[1]/- أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي :كتاب العين، تح :مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار الكتب العلميَّة بيروت، (د/ط)، 2003م، ج2، ص :39 .

[2]/- المرجع نفسه، ص :40 .

[3]/- محمد بن مكرم بن منظور :لسان العرب، مراجعة :أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط3، 1999م، ج11، ص :435 .

هذا عدل، وهما عدل... والعدل الحكم بالإستواء، ويقال للشيء يساوي الشيء :وهو عدله وعَدَلْتُ بفلان فلانًا وهو يعادله... وكل ذلك من المعادلة، وهي المساواة[1]" .

"وأمَّا الأصل الآخر فيقال في الإعوجاج :عدل، وانعدل؛ أي :انعرج[2]" .

واضح ممَّا سبق أنَّ هذه المادة المعجميَّة تشير وتدل على الخروج والحياد عن أصل ما وإمالته عنه إلى غيره .

2ـ التعريف الإصطلاحي :

لقد درس عدد كبير من الباحثين قديمًا وحديثًا حول ظاهرة العدول، وإذا كنَّا هنا لا يسعنا إلَّا أن نقف على بعض هذه الدِّراسات، كما يمكننا أن نقول أنَّ هؤلاء الباحثين تعددت مصطلحاتهم حول مفهوم هذه الظاهرة، إلَّا أنَّها تدور حول مفهوم عام ألَّا وهو الخروج عن السائر أو المتعارف عليه، يرى السكاكي أنَّ العدول له قيمة بلاغيَّة لا تعرف إلَّا من خلال الخروج عن المألوف ومخالفة الكلام لمقتضى الظاهر، والغوص في المعنى العميق للفظة حيث قال :«الطلب كثيرًا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر، فيذكر أحدهما في موضع الآخر، ولا يصير إلى ذلك إلَّا لتوخي نكت[3]» .

كما يشير عبد القاهر الجرجاني إلى هذه الظاهرة، بمعنى الإنزياح وأنَّها المزيَّة، والحسن في اللفظ، والنظم، ودليل الشعريَّة في النص فيقول :«إعلم أنَّ الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين قسم تعزى المزيَّة والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك فيه إلى النظم، فالقسم الأوَّل (الكناية)، و (الإستعارة)، و (التمثيل الكائن على حد الإستعارة)، وكلُّ ما كان فيه على الجملة مجاز وإتساع وعدول باللفظ عن الظاهر...[4]» .

---

[1]/- أبو الحسن أحمد بن فارس الرازي :معجم مقاييس اللغة، تح :عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلاميَّة، لبنان، 1900م (د/ط)، ص :246 .

[2]/- المرجع نفسه، ص :247 .

[3]/- عبد الله خضر حمد :العدول في الجملة القرآنيَّة، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، (د/ط)، 1999م، ص 17 .

[4]/- المرجع نفسه، ص :21 .

أمَّا اِبن الأثير فقد ذكر العدول في مواضع كثيرة فمنها قوله :«فالأديب محتاج إلى الترادف ليجد ـ إذا ضاق به موضع في كلامه بإيراد بعض الألفاظ ـ سعة في العدول عنها إلى غيره ممَّا هو في معناه[1]» ويقول أيضًا :«ويسمى أيضًا "شجاعة العربيَّة" وإنَّما سمي بذلك لأنَّ الشجاعة هي الإقدام، وذلك أنَّ الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره، وما لا يتورَّده سواه، وكذلك هذا الاِلتفات في الكلام فإنَّ اللُّغة العربيَّة تختص به دون غيرها من اللُّغات[2]» .

يرى الدكتور محمد عبد المطلب أنَّ العدول يمثل قيمة تعبيريَّة لها أهميتها في المجال الإبداعي "فهو في حقيقته يعتمد على حركة الذهن واِنتقالها من معنىأو من أسلوبفي الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأوَّل[3]" .

أمَّا صلاح فضل ففي رأيه لا يكون الأسلوب أسلوبًا إلَّا ويَحْوي عدولًا أو اِنحرافًا عن المعيار أو الأصل، ويعرف العدول تعريفًا أسلوبيًّا مستعينًا في ذلك بمصطلح مرادف له، وهو الاِنحراف، ويقول :«إنَّ الأسلوب هو في جوهره اِنحراف عن قاعدة ما...[4]»، فالنسبة إليه جوهر الأسلوب هو "العدول" وعدَّه سمة وميزة فيه .

ويعرِّفه أحمد محمد ويس بأنَّه :«اِستعمال المبدع للُّغة ومفردات وتراكيب وصور اِستعمالًا يخرج عمَّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرُّد وإبداع وقوة جذب وأسر[5]»، ومن هذا التعريف يظهر لنا أنَّ العدول يخص اللُّغة الفنيَّة؛ إذ هو الفيصل بين الكلام العادي والكلام الأدبي، يبدو ممَّا تقدم أنَّ تعدُّد المصطلحات التي أطلقت على ظاهرة العدول تشير إلى مدى أهميَّة ما تحمله هذه الظاهرة من مفهوم، وإلى تأصُّلها في الدراسات القديمة

---

[1]/- عبد الله خضر حمد :العدول في الجملة القرآنيَّة، ص :21 .

[2]/- ضياء الدين بن الأثير :المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح :أحمد الحوفي، بدوي بطانة، دار النهضة المصريَّة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د/ط)، (د/ت)، ص :135 .

[3]/- محمد عبد المطلب :بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي)، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995م، ص :64 .

[4]/- مريم أقرين :العدول بالترتيب والنقصان في التركيب الاِسمي بين النحو والبلاغة، مجلة الدرسات اللُّغويَّة والأدبيَّة، ع2 ديسمبر 2015م، ص :151 .

[5]/- أحمد محمد ويس :الاِنزياح في منظور الدراسات الأسلوبيَّة، مؤسسة اليمامة الصحفيَّة، الرياض، ط1، 2003م، ص :8 .

والحديثة، واِستعمال الدارسين لمجموعة من المسميَّات إلى جانب مسمى العدول، نذكر منها : المجاز، الاِنزياح، شجاعر العربيَّة، الاِنحراف... إلخ، وما اِختلافهم في التسميَّة إلَّا لاِختلافهم في النظرة إلى تطبيقاتها وتحليلاتها .

ثانيًا :وظيفة العدول :

"رغم أنَّ لغتنا مبنيَّة على نظام خاص بها، نظام اِستعمالي واحد منتشر في كلِّ مستوياتها الصَّرفي، والنحوي، والبلاغي وغير ذلك يزيدها ترابطًا وتماسكًا بين مكوناتها اللَّفظيَّة وبين دلالاتها من جهات مختلفة من خلال اِنسياقها في ضوء نظام واحد متجانس متعلِّق بعضه برقاب بعض إلَّا أنَّ إضافة عنصر المفاجأة سوف يؤدي إلى لفت اِنتباه المتلقي وجذبه نحو النَّص وبالتالي الوصول إلى إثارة الجمال في المتلقي؛ لأنَّ المتلقي يشارك المؤلف في تشكيل المعنى وإنتاج النَّص، ويرى بعض الدارسين أنَّ "المفاجأة" هي الوظيفة الأساسيَّة للعدول وقد أدركوا دور هذا العنصر في إغناء النَّص الأدبي[1]" .

إنَّ العدول يؤدي إلى تتغيير القواعد وتجديدها ومن ثمَّ إحكامها مجدَّدًا، فتكشف من خلالها علاقات لغويَّة جديدة تصدم ما تعوَّد عليه الذَّوق والروتين، وما العدول إلَّا نتيجة لاِحتياج النَّاس في التعبير وذلك حين تتزاحم الماعني في أذهانهم والتجارب في حياتهم، ولا يسعهم ما اِدخروه من ألفاظ، وما تعلموه من كلمات؛ لأنَّ المبدع يشكل اللُّغة حسبما تقتضي حاجته، غير آبه بالحدود والأنظمة والدلالات الوضعيَّة، ويعمد إلى الاِنتقال ممَّا هو ممكن إلى ما هو غير ممكن، لأنَّه يطمع إلى تقديم رؤيته وإحساسه بالطريقة التي يراها أكثر تأثيرًا[2] .

---

[1]/- ينظر :عبد الله خضر محمد :العدول في الجملة القرآنيَّة، ص :57 .

[2]/- المرجع نفسه، ص :59 .

ثالثًا :مجالات العدول :

سنحاول تحديد أبرز الصُّور والمجالات التي تحققت في القرآن الكريم، وهي :الصِّيغ الضمائر، العدد، الأدوات، البناء النَّحوي، المعجم .

1ـ الصِّيغ :

إنَّ العدول في هذا المجال يكون كلما تخالفت صيغتان (في نسق واحد) من مادة معجميَّة واحدة، ومن ذلك مثلًا :المخالفة بين صيغ الأفعال (الماضي، المضارع، الأمر) أو بين صيغتي نوع واحد منها، أو بين صيغ الأسماء أو بين صيغة من صيغ الإسم وأخرى من صيغ الفعل، أو ما إلى ذلك ممَّا لا يتمثل في اللُّغة الفنيَّة عامة، وفي لغة القرآن الكريم خاصة إلَّا لمرامى وأسرار بيانيَّة يفتقدها السياق لو لم تكن تلك المخالفة، يقول اِبن الأثير :«إنَّ العدول من صيغة الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلَّا لنوع خصوصيَّة اِقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلَّا العارف برموز الفصاحة والبلاغة التي اِطلع على أسرارها وفتش عن دفائنها[1]» .

ومن هذا النَّوع الفعل "وذر" لا يستعمل في صيغة الماضي وذلك لقبحها، ففي صيغة الأمر كقوله تعالى :﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا**﴾ سورة الحجر الآية/3، وتستعمل مستقبلة أيضًا كقوله تعالى :﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ**﴾ سورة المدثر الآية/26، 27 28 وهي لم ترد في القرآن الكريم إلَّا على هاتين الصيغتين[2] .

إنَّ تنوع الصيغ وتحولها من الحالة التي كانت عليها الحالة الأخرى يتحول قبحها إلى حسن أو العكس "أمَّا اِختلاف صيغ الألفاظ، فإنَّها إذا اِنتقلت من هيئة إلى هيئة، كنقلها مثلًا من وزن إلى وزن آخر، وإن كانت اللَّفظة واحدة، أو كنقلها من صيغة الإسم، أو كنقلها من الماضي إلى المستقبل، أو من المستقبل إلى الماضي، أو من الواحد إلى التثنيَّة أو إلى الجمع أو إلى النسب، أو إلى غير ذلك، اِنتقل قبحها صار حسنًا وحسنها صار قبحًا[3]" .

---

[1]/- ضياء الدين بن الأثير :المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 293 .

[2]/- المرجع نفسه، ص :295 .

[3]/- المرجع نفسه، ص :294 .

إنَّ الإختيار لتلك الصيغ من قبل المبدع، وكذلك ما يقوم به من تكرار لبعض الصيغ أو عدول فني مقصود عن صيغ يقتضيها السياق إلى صيغ أخرى يراها أكثر مناسبة؛ كل ذلك يُحدِث بلا شك نوعًا من الإثارة ولفت الذهن للمتلقي[1] .

2ـ العدد :

يكون العدول في العدد في ثلاثة صور :

أ/ـ بين الإفراد والجمع .

ب/ـ بين الإفراد والتثنيَّة .

ج/ـ بين التثنيَّة والجمع .

إنَّ العدول العددي بأنماطه المختلفة يؤدي دور فعَّال في إضفاء المعنى البلاغي والجمالي على النَّص القرآني، فضلًا عن توصيل الغرض الديني الذي يعدُّ من أهم المقاصد القرآن الكريم، بل هو الغاية الأساسيَّة في منظومة المعجزة .

ومن أهم وظائفه إعطاء المفرد حكم الجمع والعكس صحيح، أو جعل المثنى مفردًا والعكس، أو جعل الجمع مثنى والعكس صحيح أيضًا لنكت بلاغيَّة تتعلق بالمقام ووظائفه المقصديَّة، ومن ذلك مثلًا إفراد السمع وجمع الأبصار والقلوب في مثل قوله تعالى :﴿**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَة وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم**﴾ سورة البقرة الآية/7 .

فلقد جاءت لفظة "سمعهم" مفردة بين جمعين "قلوبهم، أبصارهم" وهي بذلك تشكل في نسق الآية الكريمة تحولين :أوَّلهما عن الجمع إلى الإفرد، والثَّاني عن الإفراد إلى الجمع[2]" .

---

[1]/– عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي :الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقيَّة، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)، المكتبة العصريَّة للنشر والتوزيع، بيروت ــ لبنان، ط1، 2008م، ص :10 .

[2]/– حسن طبل :أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنيَّة، ص :88 .

3ـ الأدوات :

يتحقق العدول في مجال الأدوات بإحدى صورتين :

أ/ـ المخالفة بين الأدوات المتماثلة :أي التحوُّل في التعبير أو السياق الواحد من أداة إلى أداة أخرى تماثلها في أداء وظيفتها (العام) وتفترق عنها في خصوصيَّة هذا الأداء .

ب/ـ حذف الأداة وذكرها :أي التحوُّل ـ في السياق الواحد ـ عن ذكر الأداة إلى حذفها أو العكس لقيمة تعبيريَّة تقتضي هذا أو ذاك[1]، ومن هذا في القرآن الكريم قوله تعالى :﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَات لِلْفُقَرَاء وَالمَسَاكِين وَالعَامِلِين عَلَيْهَا وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَاب وَالغَارِمِين وَفِي سَبِيل الله وَابن السَّبِيل فَرِيضَة مِنَ الله وَالله عَلِيم حَكِيم**﴾ سورة التوبة الآية/60 .

ففي الآية الكريمة عدول عن حرف الجر (اللَّام) الوارد في صدورها مع الفقراء إلى (في) مع الرقاب وفي سبيل الله، "فالحرفان يشتركان في تأديَّة معنى وظيفي عام وهو التعليق، غير أنَّ كلًا منهما ينفرد في تأديَّة هذا المعنى بخصوصيَّة لا يشاركه فيها الآخر؛ إذ إنَّ أولهما يفيد التعليق على معنى الملكيَّة، أمَّا الثَّاني فيفيد التعليق على معنى الظرفيَّة، ولهذه الخصوصيَّة كان إيثار كل منهما في موضعه من سياق الآية الكريمة[2]" .

ومن المواضع القرآنيَّة التي يتمثل فيها الحذف والذكر (للأداة) قول الحق سبحانه :﴿**ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُون، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَة تُبْعَثُون**﴾ سورة المؤمنون الآية/15، 16 .

"إنَّ في ذكر اللَّام في الآية الأولى ما يُغني عن ذكرها في الثَّانيَّة؛ إذ إنَّ العطف يقتضي الإشتراك في الحكم، فكأنه قيل :لتبعثون[3]" .

---

[1]/ـ حسن طبل :أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنيَّة، ص :131 .

[2]/ـ المرجع نفسه، ص :132 .

[3]/ـ المرجع نفسه، ص :138 .

4ـ الضمائر :

العدول في مجال الضمائر يتحقق في صور المخالفة التعبيريَّة التاليَّة :"بين الغيبة والخطاب، بين الغيبة والتكلم، بين التكلم والخطاب، بين الإظهار والإضمار، بين تذكير الضمير وتأنيثه" .

يقول الزمخشري :«إنَّ الرُّجوع من الغيبة إلى الخطاب إنَّما للتفنُّن في الكلام والإنتقال من أسلوب إلى أسلوب تطريَّة لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه» .

وقد جاء هذا النَّوع من العدول في القرآن الكريم مرارًا وتكرارًا، ومن أمثلته ذلك قوله تعالى ﴿**هُوَ الذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَّرِ وَالبَحْرِ حَتَى إذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْك وجرين بهم بِريح طَيِّبَة وَفَرِحُوا بِهَا جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كلِّ مكا وظنوا أنَّهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدِّين لئن أنجيتنا من هذه لنكوننَّ من الشَاكِرين**﴾ سورة يونس الآية/22 .

"بدأت الآية الكريمة بمخاطبة المخاطبين (يسيركم، كنتم) ثم تحوَّل النسق إلى الإخبار عنهم بضمير الغيبة (وجرين بهم)[1]" .

5ـ البناء النحوي :

"يكون العدول في هذا المجال بالعدول عن الأصل في القواعد، كالعدول عن قاعدة "عدم الإبتداء بالنَّكرة"، عندما تتحقق الإفادة مع التنكير، وكالعدول عن عدم الإخبار بظرف الزَّمان عن أمر مادِّي عندما تحقق الإفادة به أيضًا، وهلُّم جرا ممَّا يدلُّ على أنَّ الإفادة هي المطلب الأوَّل للإستعمال اللُّغوي[2]" .

إذا نعني به تحوُّل وإنكسار في المكونات النحويَّة للتعبير، هذه التَّحوُّلات تفاجأ المتلقي وتثير تأمله بحثًا عن مثيراتها السياقيَّة، وظلالها الدلاليَّة الخاصَّة .

"ومن هذا العدول في القرآن الكريم الكثير، يقول الحق تبارك وتعالى :﴿**وَأَنَّا لَا نَدْري أشرٌ أريد بِمَنْ فِي الأَرْض أَمْ أَرَادَ بِهِمْ ربُّهُمْ رشدًا**﴾ سورة الجن الآية/1، جاءت الآية الكريمة على

---

[1]/- حسن طبل :أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنيَّة، ص :105 .

[2]/- تمام حسان :البيان في روائع القرآن (دراسة لغويَّة وأسلوبيَّة للنَّص)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993م، ص :346 .

لسان النفر الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم من الجن، حيث عدل عن بناء فعل الإرادة للمفعول، "مع الشر" إلى بنائه للفاعل "مع الخير" وفي هذا العدول إشعار بأنَّ هؤلاء الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم قد عرفت ألسنتهم عن ذكر الخالق عزَّ وجلَّ في جانب إرادة الشر[1]" .

6ـ المعجم :

يكون العدول في هذا المجال بين الألفاظ التي تحمل قدر مشترك من المعنى والتي تتداخل معانيها ثمَّ تنفرد كلٌّ منها ببعض الخصوصيات التعبيريَّة التي لا يشاركه فيها سواه[2] .

وقد تعدَّدت المواطن القرآنيَّة التي تتمثل فيها صورة العدول في هذا المجال فمن ذلك قوله تعالى :﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ سورة العنكبوت الآية/14 .

نلاحظ في الآية الكريمة أنَّه جاء تمييز المستثنى بلفظ "العام" لا بلفظ "السنة" الوارد في تمييز المستثنى منه، وكلٌّ من اللَّفظين يدلُّ على معنى الحول أو مقدار قطع الشمس البروج الإثني عشر "إنَّ سرَّ هذا العدول يعود إلى خصوصيَّة كلِّ من اللَّفظين في الدلالة على معنى الحول[3]" .

إنَّ قيمة المغايرة بين الألفاظ لها أهميتها في المجال الإبداعي، كما يتمثل في ملائمة كلِّ لفظ بدلالته المتفردة للموقع الذي أوثر فيه من سياق الكلام .

---

[1]/- المرجع السابق، ص :148 .

[2]/- المرجع نفسه، ص :159 .

[3]/- حسن طبل :أسلوب الإلتفات في البلاغة القرآنيَّة، ص :159 .

رابعًا :فائدة العدول :

يمثل العدول قيمة لها أهميَّة كبيرة حيث نجد أنَّ معظم البلاغيين أوردوه ضمن مباحثهم يرى البلاغيون أنَّ العدول "يحسن تغيير الطريقة وإظهار الملكة في الكلام والإقتدار على التصرُّف فيه، وأنَّها من عادة العرب في كلامها، فضلًا عن الإيجاز الموحي بمعاني وصور تدور في فكر المتلقي[1]" .

قال أبو حيان :«لا تُحَدُّ بحدود ولا تضبط بضابط"؛ أي لكلِّ موضع فائدة، ولكلِّ موضع منه نكتة على ما يقصده التكلم كتعظيم شأن المخاطب وقصد المبالغة والدلالة على الإختصاص وتفسيرات ذوقيَّة خاصَّة .

فهو نوع يسمح به نظام اللُّغة العربيَّة بشرط إفادة معنى جديد وهو خفي مرتبط بالنظام ولا مندوحة لنا عن التفسير الفني والذوقي البلاغي له .

كما أنَّ العدول بأنواعه له "أسرار إلهيَّة وإشارة إلى النِّظام المترابط من خلال خرقه ليدلَّ عليه والتدبُّر فيه فضلًا عمَّا يتضمَّنه من معانٍ ثانيَّة عاليَّة ودلائل إعجازيَّة وأسرار بلاغيَّة، تدلُّ على خصوصيَّة، وتدلُّ على خصوصيَّة المعنى القرآني كونه نزل للثقلين في كلِّ العصور[2]" .

كما ردَّه اِبن الأثير قول الزمخشري ومن تبعه في إيقاظ السامع وتطريته أو اِستمالته في الإصغاء ذلك أنَّ الكلام الفصيح لا يمل ولا ينقص من بلاغته لكنه أكثر بلاغةً وكشفًا عن المراد[3]" .

---

[1]/- حسن منديل حسن العكيلي :الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي، دار الكتب العلميَّة بيروت ــ لبنان، (د/ط)، 2009م، ص :130 .

[2]/- حسن منديل حسن العكيلي :الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي، ص :131 .

[3]/- المرجع نفسه، (ن.ص) .

ويرى نور الدِّين السَّد أنَّه لا يعدو أن يكون أكثر من اِستعمال لغوي خاص ومتميِّز بعكس قدرة المبدع على "اِستخدام اللُّغة وتفجير طاقاتها وتوسيع دلالاتها، وتوليد أساليب وتراكيب جديدة لم تكن دارجة أو شائعة في الاِستعمال[1] .

هذه ـ إذن ـ فائدة العدول فهي في معظمها نفسيَّة جماليَّة، تهدف إلى شدِّ اِنتباه المتلقي وإثارته، وإضافة صورة إيجابيَّة إضافيَّة على الموضوع تعبِّر عن مواطن جماليَّة خفيَّة في النَّص لا يدركها إلَّا المختص، زيادة على المعاني المألوفة للظاهرة .

[1]/- نور الدِّين السد :الأسلوبيَّة وتحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، دار هومة، الجزائر، (د/ط)، 2010م، ج2، ص : 106 .

المبحث الثَّاني :أزمنة الأفعال، الماضي بمعنى المضارع، المضارع بمعنى الماضي:

يحتلُّ الفعل في الجملة العربيَّة مكانًا مهمًّا؛ فاِهتمام الدَّارسين به واضح في نصوصهم إذ يرونه مادَّة لغويَّة مهمَّة في بناء الجملة .

والفعل في الاِصطلاح :"ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وفي اللُّغة نَفْسُ الحدثِ الذي يُحْدِثه الفاعل :من قيام، أو قعود، أو نحوهما[1] .

ولعلَّ أجود تعريف له قول سيبويه :"... وأمَّا الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع، فأمَّا بناء ما مضى، فذهب وسمع... وأمَّا بناء ما لم يقع، فإنَّه قولك أمرًا :اِذهب، وأقتل، واِضرب ومُخبرًا يقتل ويذهب... وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت[2]" .

نفهم من كلام سيبويه أنَّه قسَّم الفعل من ناحيَّة اللَّفظ؛ أي من حيث الصِّيغ الشكليَّة إلى ماضٍ ومضارع وأمر، ومن ناحيَّة المعنى إلى ماضٍ ومستقبل ودائم .

والزَّمن في الجملة العربيَّة مساوق له ويُعدُّ من مقوماته، ويأتي الزَّمن في الحقيقة : "... على المستوى الصَّرفي من شكل الصِّيغة وعلى المستوى النَّحوي من مجرى السِّياق، ومعنى اِتيان الزَّمن على المستوى الصَّرفي من شكل الصِّيغة، إنَّ الزَّمن هذا وظيفة الصِّيغة المفردة ومعنى أنَّ الزَّمن يأتي على المستوى النَّحوي من مجرى السِّياق، أنَّ الزَّمن في النَّحو وظيفة السِّياق وليس وظيفة صيغة الفعل...[3]" .

فالأفعال في السِّياق اللُّغوي قد تتبادل أزمنتها، فعلى سبيل المثال الفعل الماضي قد يُعدَل عن زمنه في السِّياق اللُّغوي إلى الزَّمن المستقبل والعكس، يقول السيوطي :«ومن سنن العرب

---

[1]/- اِبن هشام النَّحوي :شرح شذور الذَّهب في معرفة كلام العرب، تح :محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، (1422هـ/2001م)، ص :12 .

[2]/- علي جابر المنصوري :الدلالة الزمنيَّة في الجملة العربيَّة، دار العلميَّة الدوليَّة ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1 2002م، ص :31 .

[3]/- المرجع نفسه، ص :34 .

أن تأتي بالفعل بلفظ الماضي وهو حاضر أو مستقبل أو بلفظ المستقبل وهو ماضٍ[1]" .

أوّلًا :الفعل الماضي :

1ـ تعريفه :

أ/ـ التعريف اللُّغوي لكلمة ماضي :

إنَّ كتب المعاجم تدلُّنا على كلمة ماضي مشتقة من الجذر اللُّغوي (مضى)، جاء في لسان العرب من هذه المادة ما يلي :"مَضَى الشيءُ يَمْضِي مُضِيًّا ومَضاء ومُضُوّا :خلا وذهب الأخيرة على البدل...

وأمضيت الأمر :أنفذته، ومضى بسبيله :مات .

قال الجوهري :وقول جرير :

فَيَوْمًا يُجَازِين الهوى غَيْرَ ماضِي ... ويَوْمًا تُرَى منْهُنَّ غُولٌ تغوَّل؟[2] .

وجاء في معجم مقاييس اللُّغة :مضى :الميم والضَّاد والحرف المعتلُّ أصل صحيح يدلُّ على نفاذٍ ومرور، ومَضَى يَمضِي مُضِيًّا، والمضاء :النَّفاذ في الأمر...[3] .

ويدلنا معجم الوسيط :(مضى) الشيء ـ مُضِيًّا :خلا وذهب، وفي تنزيل العزيز :"ومضى مثل الأولين" و :"وامضوا حيث تؤمنون"... (الماضي) :الزَّمان الذّاهب، يقال كان ذلك في الزَّمان الماضي[4] .

لاحظنا كيف اِتفقت المعاجم العربيَّة على أنَّ هذه الكلمة تدلُّنا على النَّفاذ والذَّهاب والزَّمان المنتهي .

---

[1]/- عبد الله خضر محمد :العدول في الجملة القرآنيَّة، ص :150 .

[2]/- اِبن منظور :لسان العرب، ص :71 .

[3]/- اِبن فارس :مقاييس اللُّغة، ص :331 .

[4]/- مجمع اللُّغة العربيَّة :معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليَّة، مصر، ط5، 2011م، ص :875 .

ب/ـ تعريف الفعل الماضي :

الماضي :"ما دلَّ على حدوث شيء قبل زمن التكلُّم[1]" وللفعل الماضي علامات يُعرف بها "فالماضي يستبين بقبول تاء الفاعل وتاء التأنيث... نحو :قام، أكلت هند[2]" .

نفهم من هذا التعريف أنَّ الفعل الماضي يأتي على بناء (فَعَلَ) و(فَعَلَتْ)، يقول الدكتور تمام حسان :«وصيغة فعل ونحوها مقصورة على الماضي[3]» .

2ـ أزمنته :

❖ يستعمل الفعل الماضي للدلالة على أزمنة متعددة، أشهرها :

أ/ـ الماضي الطلق :وهو الزَّمن الذي مضى قبل زمن التكلُّم، قريبًا كان أو بعيدًا، وهو ما كان على (فَعَلَ) .

ب/ـ الماضي المنقطع :ومعنى الإنقطاع أنَّه حصل مرة، ولم يتكرَّر، وذلك إذا وقع الفعل الماضي خبرًا لكان... أمَّا الفعل الماضي المجرَّد من كان فهو قد يفيد الإنقطاع... ويحتمل أن يكون تكرَّر .

ج/ـ الدلالة على حدث ماضٍ بالنسبة إلى حدث ماضٍ قبله :وذلك كما إذا وقع الفعل الماضي في جملة حاليَّة قبلها فعل ماضٍ .

د/ـ الماضي القريب :وذلك إذا صدر بقد... فإذا قلت (قد حضر خالد) أفاد القرب من الحال .

هـ/ـ مقاربة حصول الفعل :وذلك إذا سُبق الفعل المضارع بفعل يدل على المقاربة كـ (كاد) و(أوشك) .

و/ـ رجاء حصول الفعل :وذلك إذا سبق الفعل المضارع بفعل دال على الرَّجاء .

ز/ـ شروع القيام بالفعل :أي بدء القيام به .

---

[1]/- أحمد بن محمد أحمد الحملاوي :شذا العرف في فنِّ الصَّرف، تح :محمد عبد المعطي، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع الرِّياض، (د/ط)، (د/ت)، ص :56 .

[2]/- تمام حسان :اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها، دار الثقافة للنَّشر، المغرب ـ الدار البضاء، ط1، 1994م، ص :105 .

[3]/- المرجع نفسه، (ن.ص) .

ح/ـ تلبُّس حصول الفعل بوقت من الأوقات نحو (أصبح يهذي) ...

ط/ـ قد يؤخذ من الألفاظ الأوقات أفعال للدلالة على الدُّخول في زمن معيَّن وذلك نحو :أفجر أصبح، أظهر... وغير ذلك[1] .

نقول إذًا :أنَّ الماضي المطلق يعبِّر عن وقوع الحدث في الماضي الذي لا حدود له، فقد يكون قريبًا وقد يكون بعيدًا، وقد يكون مستوعبًا للزَّمن بأكمله، وقد يقع في جزء منه، وغالبًا ما يكون التعبير عن هذا الزَّمن بصيغة (فَعَلَ)، أمَّا الماضي المنقطع فهو يعبِّر عن الحدث الموغل في المضي، ويكون خاصة بصيغة (كان فعل، كان قد فعل، قد كان فعل) أمَّا إذا وقع الفعل الماضي في جملة حاليَّة قبلها فعل ماضي فإنَّ هذا الزَّمن يعبِّر عن حدث ماضٍ قريب من الحال الذي وقع فيه سابق له، وقد ترافق صيغة الفعل الماضي بقرائن ترشحه لزَّمن معين كأفعال المقاربة وأفعال الرَّجاء وتصدِّره بـ (قد) وغير ذلك من القرائن .

❖ عدول الماضي :

ذكرنا سابقًا أنَّ الزَّمن لا يرتبط بصيغة صرفيَّة معينة دائمًا، وإنَّما تختار الصِّيغة القرائن التي تساعد على تحميلها معنى الزَّمن المعين المراد في السِّياق جاء في كتاب التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل :"وينصرف الماضي إلى الحال بالإنشاء، وإلى الإستقبال بالطلب وبالوعد، وبالعطف على ما عُلم إستقباله، وبالنفي بـ (لا) و (إنْ) بعد القسم[2]" .

أ/ـ الدلالة على الحال :ويدل على الحال من خلال السِّياق وذلك إذا تعيَّن معناه في زمن الحال وقت الحديث، ولاسيَّما إذا قُصد به التأكيد على حصول الحدث في الحال، فيكون حينئذ ماضي اللَّفظ حالي الدلالة يقول إبراهيم السامرائي :«يأتي بناء (فَعَلَ) ليشير إلى أنَّ الحدث كان قد وقع في اللحظة التي وقع فيها الكلام كما يجري في العقود[3]» .

---

[1]/- فاضل صالح السامرائي :معاني النَّحو، شركة عاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2003م، ج3، ص :267 . 268 .

[2]/- أبو حيان الأندلسي :التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح :حسن هنداوي، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، دمشق (د/ط)، (د/ت)، ج1، ص :67 .

[3]/- إبراهيم السامرائي :الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني، بغداد، (د/ط)، 1966م، ص :29 .

ويشير إلى هذا أيضًا فاضل السامرائي ويقول :«وذلك إذا قصد به الإنشاء، كبِعْتُ واِشتريت وغيرهما من ألفاظ العقود؛ إذ هو عبارة عن إيقاع معنى بلفظ يقاربه في الوجود[1]» .

ب/ـ الدلالة على الاِستقبال :وينصرف إلى ذلك في مواطن أهمُّها :

- الإنشاء المقصود به الطلب :وذلك كالدُّعاء له أو عليه نحو (غفر الله لك)؛ أي :ليغفر الله لك ونحو (ناشدتك الله إلَّا فعلت) ... أي :أفعل؛ لأنَّ هذه الأفعال تحيل الدلالة الزَّمنيَّة فيها للمستقبل "فالأفعال الواقعة بعد (إلَّا) و(لمَّا) ماضية في اللَّفظ مستقبلة في المعنى لأنَّك إذا قلت (عزمت عليك لمَّا فعلت) لم تكن قد فعل، وإنَّما طلبت فعله وأنت تتوقعه[2]" .

يقول إبراهيم السامرائي :«يأتي بناء فعل في أسلوب الدُّعاء، وهو من غير شك يشير إلى المستقبل، كما يأتي في الدُّعاء بالشَّر منفيًّا بـ (لا)... نحو :(رحمة الله، لا رحمه الله)[3]» .

- الوعد والوعيد :ومن ذلك الإخبار عن الأحداث المستقبلة مع قصد القطع بوقوعها ومن ذلك نحو قوله تعالى :﴿**ونُفِخَ في الصورِ فَصَعِقَ مَنْ في السَّمَواتِ وَمَنْ في الأَرْضِ**﴾ سورة الزمر الآية/73 والقصد من ذلك أنَّ هذه الأحداث متحققة الوقوع مقطوع بحصولها بمنزلة الفعل الماضي، فكما أنَّه لاشك في حدوث الفعل الماضي الذي تمَّ وحصل كذلك لاشك في حدوث هذه الأفعال؛ إذ هي بمنزلة الماضي في تحقق الوقوع[4] .
- دخول أداة الشَّرط كـ (إنْ) و(إذا) :قال اِبن القيم :«المشهور أنَّ الشَّرط والجزاء لا يتعلَّقان إلَّا بالمستقبل فإن كان ماضي اللَّفظ كان مستقبل المعنى كقولك "إنْ متَّ على الإسلام دخلت الجنَّة" والأصل :إنْ تمت مسلمًا تدخل الجنَّة، فغيِّر اللَّفظ المضارع إلى الماضي تنزيلًا له منزلة المحقَّق[5]" .

1/- فاضل صالح السامرائي :معاني النحو، ج3، ص :270 .

2/- المرجع نفسه، ص :272 .

3/- إبراهيم السامرائي :الفعل زمانه وأبنيته، ص :28 .

4/- ينظر :المرجع السابق، (ن.ص) .

5/- محمد عبد السلام :ظاهرة العدول في اللُّغة العربيَّة، ص :126 .

(إنْ) :"الشرطيَّة :وهو حرف يجزم فعلين... وهي أمُّ أدوات الشَّرط[1]" .

تستعمل (إنْ) في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة والمستحيلة وسائر الإفتراضات الأخرى، فهي لتعليق أمر بغيره عمومًا، جاء في (الكليات) : "(إنْ) الشرطيَّة تقتضي تعليق شيء ولا تستلزم تحقُّق وقوعه ولا إمكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلًا كما في قوله تعال :﴿**قُلْ إِنْ كَانَ لِلْرَحْمَان وَلَد فَأَنَا أَوَّل العَابِدِين**﴾ وعادة كما في قوله تعالى :﴿**فَإِنْ اِسْتَطَعْت أَن تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الأَرْض**﴾ سورة الأنعام الآية/35[2] .

يقول الدكتور علي جابر المنصوري :«إنَّ أداة الشَّرط الجازمة (إنْ) علامة قاطعة على الإستقبال سواء اِقترنت بالماضي أو المضارع[3]» .

ويأتي زمن الإستقبال من جملتي الشَّرط والجواب، لأنَّها في الأصل جملة واحدة حيث تكمِّل إحداهما الأخرى من خلال السِّياق[4]، ومن أدوات الشَّرط التي تحيل الدلالة الزَّمنيَّة في الجملة إلى المستقبل هي أدوات الشَّرط غير الجازمة مثل (إذا) و(لو) اللَّتين يستعملان فيما يحتمل تحققه وعدم تحققه .

(إذا) :لها وجوه منها :"أن تكون ظرفًا لما يستقبل من الزَّمان متضمِّنة معنى الشَّرط ولذلك تجاب بما تجاب به أدوات الشَّرط، نحو :إذا جاء زيد فقم إليه، وكثر مجيء الماضي بعدها مرادًا به الإستقبال ومع تضمنها معنى الشَّرط لم يجزم بها... وإنَّما لم يجزم بها لمخالفتها "إنْ" الشرطيَّة وذلك لأنَّ (إذا) لا تُيقِّن وجوده أو رُجِّح بخلاف "إنْ" فإنَّها للمشكوك فيه، وقد تدخل على المتيقن وجوده إذا أبهم زمانه[5] .

---

[1]/- الحسن بن قاسم المرادي :الجنى الداني في حروف المعاني، تح :فخر الدِّين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة بيروت ـ لبنان، ط1، (1413هـ/1992م)، ص :207 .

[2]/- فاضل صالح السامرائي :معاني النحو، ج4، ص :448 .

[3]/- علي جابر المنصوري :الدلالة الزَّمنيَّة في الجملة العربيَّة، ص :99 .

[4]/- ينظر :المرجع نفسه، (ن.ص) .

[5]/- الحسن بن قاسم المرادي :الجنى الداني في حروف المعاني، ص :367 .

يرى اِبن هشام أنَّ (إذا) "تجيء للماضي... كقوله تعالى :﴿إِذَا مَا أَتَوك لِتَحْمِلَهُم، قلت لا أحد ما احملكم عليه تولوا﴾ سورة التوبة الآية/29 إذ يرى اِبن هشام أنَّها تضمَّنت معنى (إذا) في المثال المتقدم فدلَّت على الظرفيَّة التي حملت في طيَّاتها الماضي من خلال السِّياق[1] .

وقد ذهب إلى ذلك قوم من المتأخرين، منهم اِبن مالك واِستدلوا بقول الله تعالى :﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُون إِذْ الأَغْلَال فِي أَعْنَاقِهِم﴾ وبآيات أخر[2] .

يقول الدكتور فاضل السَّامرائي :«(إذا) أوسع زمنا من (إذ) فإنَّها تكون ظرفًا للاِستقبال وزمنه أطول من المضي لأنَّ المستقبل دائمًا أطول وأفسح من الماضي الذي اِنتهى، وتكون للاِستمرار والمضي أيضًا نحو :﴿حَتَى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ﴾ سورة يونس الآية/90، و(إذ) مقيَّدة بالسُّكون و(إذا) مطلقة[3]» .

(لَوْ) :لها وجوه منها، أن تكون شرطيَّة، فتحتاج في هذه الحال إلى جملتين :[شرط وجواب] نحو [لَوْ درسَ خالد لنجح]... فقد علقت نجاح خالد بدراسته...

ولقد بيَّن اِبن يعيش هذه المسألة أحسن بيان فقال :«... معنى تعليق الشيء على شرط إنَّما هو وقوف دخوله في الوجود، على وقوف غيره في الوجود... وإنَّما يذكرها (يعني لو) من يذكرها في حروف الشَّرط، لأنَّها كانت شرطًا في ما مضى، إذ كان وجود الثَّاني (أي :جواب الشَّرط) موقوفًا على وجود الأوَّل (أي :فعل الشَّرط)[4]» .

فهذه (لو) الشرطيَّة مثل (إنْ) الشرطيَّة، يليها المستقبل، وتصرف الماضي إلى الاِستقبال كقوله تعالى :﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِن لَنَا، وَلَوْ كُنَّا صَادِقِين﴾ سورة يوسف الآية/17[5] .

- دخول (ما) الظرفيَّة :تنقسم (ما) المصدريَّة إلى قسمين :وقتيَّة، وغير وقتيَّة، فالوقتيَّة :هي

---

[1]/- علي جابر المنصوري :الدلالة الزَّمنيَّة في الجملة العربيَّة، ص :61 .

[2]/- الحسن بن قاسم المرادي :الجنى الداني في حروف المعاني، ص :367 .

[3]/- فاضل صالح السامرائي :معاني النحو، ج4، ص :460 .

[4]/- يوسف الصِّيداوي :الكفاف كتاب يعيد صوغ قواعد اللُّغة العربيَّة، دار الفكر بدمشق، سوريا، ط1، (1420هـ/1999م) ج1، ص :1148 .

[5]/- الحسن بن قاسم المرادي :الجنى الداني في حروف المعاني، ص :207 .

التي تقدَّر بمصدر، نائب عن ظرف الزَّمان، كقوله تعالى :﴿خَالِدِين فِيهَا مَادَامَت السَمَاوَات وَالأَرْض﴾ سورة هود الآية/108 .

وتسمى ظرفيَّة أيضًا، ولا يشاركها في ذلك شيء من الأحرف المصدريَّة، خلافًا للزمخشري في زعمه أنَّ (إن) تشاركها في المعنى، وحمل على ذلك قوله تعالى :﴿أَنْ أَتَاهُ اللهُ المُلْك﴾ سورة البقرة الآية/251، و :﴿أَلَّا أَنْ يُصَدِّقُوا﴾ سور ةالنساء الآية/51؛ أي :وقت إيتائه وحين تصدُّقهم[1] .

يقول الدكتور فاضل السَّامرائي :«إنَّ الفعل الماضي ينقلب إلى المستقبل بدخول (ما) النائبة عن الظَّرف المضاف نحو ما ذرَّ شارق وما دامت السموات لتضمُّنها معنى (إن) أي :إن دامت قليلًا أو كثيرًا، وقد يبقى معها عملى المضي كقوله تعالى :﴿وَكُنْتَ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتَ فِيهِمْ﴾ سورة المائدة الآية/117 وقوله تعالى :﴿وَأَوْصَانِي بالصَّلَاةِ والزَّكَاة مَادُمْت حَيًّا﴾ سورة مريم الآية/31[2] .

ثانيًا :الفعل المضارع :

1ـ تعريفه :

أ/ـ التعريف اللُّغوي لكلمة مضارع :

كلمة مضارع مشتقة من الجذر اللُّغوي (ضرع) وجاء في معجم العين من هذه المادة ما يلي :

ضَرِعَ الرَّجلُ يَضْرَعُ فهو ضَرَعٌ؛ أي :غمر ضعيف...

وَالضَّرْعُ أيضًا :النَّحيف الدقيق .

وتقول :أضرعته؛ أي :ذلَّلته...

والمضارع :الذي يضارع الشيء كأنَّه مثلُهُ وشِبْهُه[3] .

---

[1]/- الحسن بن قاسم المرادي :الجنى الداني في حروف المعاني، ص :230 .

[2]/- فاضل صالح السامرائي :معاني النحو، ج3، ص :273 .

[3]/- أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي :كتاب العين، ص :278 .

وجاء في معجم مقاييس اللُّغة :

الضَّاد والرَّاء والعين أصل صحيح يدلُّ على لين في الشيء، ومن الباب ضرع الشاة وغيره، سمي بذلك لما فيه من لين... فأمَّا المضارعة فهي التَّشابه بين الشيئين، قال بعض أهل العلم :إِشتقاق ذلك من الضرع، كأنَّهما اِرتضعا من ضرع واحد[1] .

وفي معجم الوسيط جاء ما يلي :

الضِّرْعُ :المِثْل، (ج) ضروع، (ضارعه) :شابهه و(تضارعا) تشابها، والمضارع (عند النحاة) الفعل المبدوء بأحد حروف المضارعة الزوائد، وهي الهمزة والتاء والنون والياء، والأصل فيها أن يدلَّ على الحال أو الإِستقبال[2] .

من التعاريف التي سبقت يمكننا القول :أنَّ معنى المضارعة المشابهة والمثل ويعنون بها مشابهة الشيء لشيء آخر .

ب/ـ تعريف الفعل المضارع :

المضارع :"ما دلَّ على حدوث شيء في زمن التكلُّم أو بعده[3]"، وللفعل المضارع علامات يُعرف بها أيضًا :

"المضارع يبدأ بأحد حروف المضارعة ويقبل لام الأمر ونوني التوكيد والإناث ويضام السِّين وسوف ولم ولن[4]" .

أمَّا صيغته المتفق عليها من قبل النحاة :"صيغتي يَفْعَلُ وأفعل ونحوهما إمَّ أن يكونا للحال أو للإِستقبال[5]"، إلَّا أنَّ هذه الصِّيغة ودلالة الفعل المضارع تتخلى عن هذه التعاريف، فهناك قرائن تحدِّد دلالته، وهذه القرائن إمَّا لفظيَّة أو معنويَّة أو حاليَّة .

1/- أبو الحسن أحمد بن فارس الرازي :معجم مقاييس اللغة، ص :350 .

2/- مجمع اللُّغة العربيَّة :المعجم الوسيط، ص :539 .

3/- أحمد بن محمد الحملاوي :شذا العرف في فن الصَّرف، ص :56 .

4/- تمام حسان :اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها، ص :105 .

5/- ينظر :المرجع نفسه، (ن.ص) .

2ـ أزمنته :

- يدلُّ الفعل المضارع على أزمنة متعدِّدة، أشهرها :

أ/ـ الدلالة على الحال والإستقبال :فقد يحتمل أن يقصد به الحال والإستقبال، جاء في (المقتضب) :"تقول (زيد يأكل) فيصلح أن يكون في حال أكل وأن يأكل فيما يستقبل"، وجاء في (المفصَّل) :"ويشترك فيه الحاضر والمستقبل" .

ب/ـ دلالته على الحال تنصيصًا :وذلك في مواطن أهمُّها :

1ـ إذا اِقترن بظرف يدلُّ على الحال كالآن والساعة والحين، نحو (هو يقرأ الآن) و(هو يكتب الساعة) .

2ـ نفيه بـ (ليس) أو (ما) أو (إنْ) عند الإطلاق نحو (ما خالد يكتب) و(ليس علي يقرأ)[1] .

وغير ذلك من القرائن اِعترض عليها بعض النحويين ووافق عليها البعض .

ج/ـ دلالته على الإستقبال تنصيصًا :

1ـ إذا اِقترن بظرف يدلُّ على المستقبل ،حو :غدًا أو بعد يومين ويوم القيامة نحو :يقضي الله بين عباده يوم القيامة .

2ـ النصب :فإنَّ الناصب يصرف الفعل إلى الإستقبال، نحو :أرغب في أن تزورني .

3ـ إذا دخل عليه حرف تنفيس وهو السِّين أو سوف نحو قوله تعالى :﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نَصْلِيهِمْ نَارًا**﴾ سورة النساء الآية/56 وقوله تعالى :﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار**﴾ سورة النساء الآية/57 .

4ـ إذا دخلت عليه نونا التوكيد كقوله تعالى :﴿**لَتَدْخُلَنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ الله آمِنِين**﴾ سورة الفتح الآية/28 وقوله :﴿**لَنَسْفَعًا بِالنَاصِيَّة**﴾ سورة العلق الآية/15 .

5ـ إذا دخلت عليه أداة شرط نحو قوله تعالى :﴿**إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ**﴾ سورة الإسراء الآية/54... إلَّا (لو) الشرطيَّة فإنَّها موضوعة للشَّرط في الماضي نحو (لو زارني لأكرمته) وهذا هو الغالب... وهناك مواضع يحتمل المضي والإستقبال .

---

[1]/- فاضل صالح السامرائي :معاني النحو، ج3، ص :280، 281 .

6ـ بعد (لو) المصدريَّة نحو قوله تعالى :﴿وَدُّو لَوْ تُدْهَن﴾ سورة القلم الآية/9 .

7ـ بعد (هل) :وهي تخصص المضارع بالِستقبال غالبًا نحو (هل تسافر؟) بخلاف الهمزة نحو (أتظنه قائمًا) .

8ـ إذا اِقتضى طلبًا كالنَّهي والأمر والدعاء والتحضيض والتمني والترجِّي، نحو (ليتني أجده) و(لاتخبره)، وقوله تعالى :﴿لِيُنْفِقْ ذُو سِعَه مِنْ سِعَتِه﴾ سورة الطلاق الآية/7 وقوله :﴿لَعَلِي أَبْلُغِ الأَسْبَاب﴾ سورة غافر الآية/36 و :﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُون﴾ سورة النمل الآية/46 و :﴿يَغْفِرَ الله لَكُمْ﴾ سورة يوسف الآية/92 وقوله :﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلِيْنِ﴾ سورة البقرة الآية/233 .

8ـ إذا اِقتضى وعدًا أو وعيدًا، نحو قوله تعالى:﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاء وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاء﴾ سورة المائدة الآية/40 .

9ـ إذا أسند إلى متوقع، نحو (يحاسب الله عباده) .

وغير ذلك من الصوارف إلى الاِستقبال .

د/ـ الدلالة على حدث مستقبل بالنسبة إلى حدث مستقبل قبله، وذلك نحو قولك (سأذهب إليه وقد اِمتلأ المجلس بالحضور وأردَّ عليه) فالذهاب يكون بعد اِمتلاء المجلس، وكلاهما مستقبل[1].

- عدول المضارع :يأتي الفعل المضارع للتعبير عن حالات بصرف النَّظر عن الدلالة الزَّمانيَّة التي تشير إليها الصِّيغة، وذلك لأنَّ دلالته قد تحصل وتبرز من خلال القرائن التي تكون في بناء الجملة، وفي دلالته على المُضِي العديد من المواضع أهمُّها :

جاء في كتاب (التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل) :"وينصرف إلى المُضي بلَمْ ولمَّا الجازمة ولَوِ الشَّرطيَّة غالبًا، وبإذ وربَّما وقدْ في بعض المواضع[2]" .

---

[1]/- فاضل صالح السامرائي :معاني النحو، ج3، ص :281 ـ 283 .

[2]/- أبو حيان الأندلسي :التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج1، ص :102 .

1ـ إذا اِقترن بـ (لَمْ) و(لَمَّ) :

ذهب أكثر المتأخرين إلى أنَّ (لمْ) و(لمَّا) يصرفان معنى المضارع إلى المضي، وهذا مذهب المبرَّد والأستاذ أبي علي، ذكروا (لمْ) و(لمَّ) من "القرائن الصارفة معنى المبهم إلى المُضي دون لفظه، وأنَّ الأصل يَفْعَلُ، فدخلتا عليه، وصرفتا معناه إلى المضي، وبقي اللَّفظ على ما كان عليه[1]" .

أ/ـ (لمْ) :حرف جزم لنفي المضارع وقَلْبِه ماضيًّا، تقول :"يقوم زيد" فيكون الفعلُ مرفوعًا لخلوه من الناصب والجازم، ومحتملًا للحال والاِستقبال، فإذا دخلت عليه (لمْ) جَزَمَتْه وقَلَبَتْه إلى معنى المضي[2] .

يقول الدكتور إبراهيم السَّامرائي :«ويأتي بناء (يَفْعَلُ) مسبوقًا بـ (لمْ) فيشير إلى الماضي فإذا قلنا :"لم يكتب" فكأنَّنا قلنا :"ما كتب"[3]» .

وهذا يعني أنَّنا إذا قلنا لم يكتب الطالب فكأنَّنا قلنا :ما كتب الطالب فـ (لم) إذن نقلت الفعل نقلين، نقلته إلى الماضي، ونفته .

ب/ـ (لمَّا) :وتختصُّ بنفي المضارع أيضًا وتقلب زمنه ماضيًّا نحو قوله تعالى :﴿**وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ سورة الحجرات الآية/14 وقوله :﴿**بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ**﴾ سورة ص الآية/8 وقولنا (لمَّا يأت خالد) وهي لنفي (قد فعل) فإذا قلت (قد حضر) فنفيه لمَّا يحضر[4] .

يقول الدكتور علي جابر المنصوي :«أمَّا (لمَّا) فإنَّ النَّفي بها واجب، ويمتد إلى الزَّمن الحالي تاذي ينتفي بها أيضًا ذلك بأن يكون معنى الزَّمن في السِّياق منفيًّا في الماضي، وفي الحال كذلك نحو :أعجبني ورد النَّرجس، وأغراني بشمِّه، ولمَّا أشمُّه؛ أي لا في الزَّمن الماضي ولا في الوقت الحاضر[5]» .

---

[1]/- أبو حيان الأندلسي :التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج1، ص :102 .

[2]/- إبن هشام النَّحوي :شرح شذور الذَّهب في معرفة كلام العرب، ص :17 .

[3]/- إبراهيم السامرائي :الفعل زمانه وأبنيته، ص :30 .

[4]/- المرجع السابق، ص :18 .

[5]/- علي جابر المنصوري :الدلالة الزَّمنيَّة في الجملة العربيَّة، ص :61 .

وقد اِجتمعت (لمْ) و(لمَّا) في قوله تعالى :﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِه، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُه﴾ سورة يونس الآية/39 .

والفرق بين (لمْ) و(لمَّا) من أوجه هي :

*أنَّ النَّفي بـ (لمْ) قد يكون منقطعًا وقد يكون مستمرًا، في حين أنَّ النَّفي بـ (لمَّا) مستمر النَّفي إلى حين التكلُّم .

*أنَّ منفي (لمَّا) لا يكون إلَّا قريبًا من الحال ولا يشترط ذلك في منفي (لمْ) فقد يكون منفيًّا قريبًا أو بعيدًا .

*أنَّ المنفي بـ (لمَّا) فيه معنى التَّوقع وليس كذلك المنفي بـ (لمْ) .

*أنَّ (لمَّا) لا تقترن بأداة الشَّرط بخلاف (لمْ) .

*يجوز الاِستغناء بـ (لمَّا) عن ذكر منفيها إذا دلَّ عليه دليل[1] .

2ـ إذا دخلت عليه (لَوْ) الشَّرطيَّة :

والمقصود هنا (لوْ) الاِمتناعيَّة :"وتسمى حرف اِمتناع لاِمتناع، ومعناه اِمتناع وقوع الجزاء لاِمتناع الشَّرط نحو (لو زرتني لأكرمتك) فاِمتنع الإكرام لاِمتناع الزِّيارة[2]" .

وهي تصرف المضارع إلى المضي، كقول الشاعر :

لوْ يَسْمَعُون كما سَمِعتُ كَلامَها ... خَرُّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وسُجُدا

فهي في ذلك عكس (إن) الشَّرطيَّة، لأنَّها تصرف الماضي إلى الاِستقبال .

وأُختلف في عدِّ (لو) من حروف الشَّرط، فقال الزمخشري واِبن مالك (لو) حرف شرط وأبي قوم تسميتها حرف شرط، لأنَّ حقيقة الشَّرط إنَّما تكون في الاِستقبال و(لو) إنَّما هي للتعليق في المضي فليست من أدوات الشَّرط[3]، وأدخلوها تحت أدوات الجزاء، وقيل بأنَّها لو كانت شرطًا خلَّصته إلى الاِستقبال، وإن كانت الاِمتناعيَّة صرفت معناه إلى المضي، فهي

---

[1]/- فاضل صالح السامرائي :معاني النحو، ج4، ص :391 .

[2]/- المرجع نفسه، ص :467 .

[3]/- الحسن بن قاسم المرادي :الجنى الداني في حروف المعاني، ص :283 .

ليست شرطًا لا في اللّفظ؛ لأنّها لا تجزم ولا في المعنى؛ لأنَّ الشَّرط إنَّما يكون بالنظر إلى الإستقبال[1]، وغالبًا ما كان دخولها على المضارع كان في الإستعمال صرفه إلى المضي أكثر من صرفه إلى الإستقبال كقوله تعالى :﴿وَلَوْ يُؤَاخِذ الله النَّاس بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَةٍ﴾ سورة النحل الآية/61[2] .

3ـ إذا دخلت عليه (إذْ) :

وهي ظرف للزمن الماضي في أكثر اِستعمالاتها ـ وقد تكون للمستقبل إذا رفقت بقرينة ـ وهي مبنيَّة إذا جاءت منفردة، ومعربة مجرورة إذا جاءت مضافًا إليها نحو قوله تعالى :﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُون﴾ وإذا جاءت منفردة اِلتزمت الإضافة إلى جملة إسميَّة، نحو قوله تعالى : ﴿أوذكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيل﴾ ونحو قوله :﴿إِذْهُمَا فِي الغَار﴾ وإلى جملة فعليَّة، صدرها فعل ماضٍ لفظًا ومعنى، نحو قوله تعالى :﴿وَإِذْ قَالَ رَبُكَ لِلْمَلَائِكَة﴾ وقوله تعالى :﴿إِذَا اِبْتَلَى إِبْرَاهِيم ربه﴾... أو أن يكون صدرها مضارعًا في الصِّيغة، لكنَّه ماضٍ في السِّياق، نحو قوله تعالى : ﴿إِذْ يَرْفَع إِبْرَاهِيم القَوَاعِد﴾ وقوله تعالى :﴿إِذْ يَمْكُر بِك الذِين كَفَرُوا﴾ .

ويتبيَّن ممَّا سبق من الآيات والأمثلة أنَّ الدلالة السِّياقيَّة فيها تشير إلى الماضي، والقرينة الدالة على ذلك هي (إذ) التي بمعنى (حين) أو (وقت)[3] .

4ـ إذا دخلت عليه (قد) التَّقليليَّة :

وهي تدخل على الفعل ماضيًّا ومضارعًا، فتكون مع الماضي حرف تحقيق، نحو :قد سافر زهر، ومع المضارع حرف تقليل نحو :قد يسافر خالد .

قد تكون (قد) مع الفعل المضارع للتحقيقإذا دلَّ على ذلك سياق الكلام والقرائن، ومثال ذلك قوله تعالى :﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء﴾ سورة البقرة الآية/2، 144 (قد نرى) : الأصل أن تجيء (قد) مع الفعل المضارع للتقليل، نحو :قد نسافر، لكن لمَّا كان فاعل الفعل

---

[1]/- أبو حيان الأندلسي :التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ج1، ص :105 .

[2]/- المرجع نفسه، (ن.ص) .

[3]/- علي جابر المنصوري :الدلالة الزَّمنيَّة في الجملة العربيَّة، ص :60، 61 .

المضارع في الآية هو الله تعالى وكان تقليل الرؤية وكثرتها ممَّا لا يجوز على الله كان معنى (قد) في الآية، التحقيق[1] .

وقد أشار اِبن هشام إلى معنى لطيف في قوله تعالى (قد يعلم ما أنتم عليه)؛ إذ جعلها من باب التقليل، فالتقليل عنه ضربان، تقليل وقوع الفعل نحو :قد يصدُقُ الكذوبُ، وقد يجود البخيل، وتقليل متعلِّقه نحو قوله تعالى (قدْ يَعلم ما أنتم عليه)؛ أي ما هم عليه هو أقل معلوماته سبحانه وتعالى[2]، فالتقليل خاص بنفس الفعل وتقليل متعلق بالفعل، وقال الزَّمخشري في قوله تعالى (قد يعلم ما أنتم عليه) دخلت لتوكيد العلم، ويرجع ذلك إلى توكيد الوعيد[3]، ومثل له بالآية السابقة إذ المعنى :ما هم عليه هو أقل معلوماته سبحانه وتعالى، والتقليل هنا واقع على متعلق فعل العلم وهو :المعلوم، لا الفعل نفسه، وقد رُدَّ عليه وقيل أنَّها في هذه الأمثلة للتحقيق.

5ـ إذا دخلت عليه (رُبَّما) :

إذا وقع الفعل المضارع بعد (رُبَّما) صرفت معناه إلى المضي، نحو :ربَّما يقوم زيد؛ أي ربَّما قام زيد، وإنَّما صرفت معنى المضارع إلى المضي؛ لأنَّها قبل اِقترانها بـ (ما) مستعملة في المضي، فاِستصحب لها ذلك بعد الإِقتران، و(ما) للتوكيد، وليست بناقلة من معنى إلى معنى[4] ومعنى هذا أنَّها قبل اِقتران (ما) تستعمل في الماضي .

واِختلف النُّحاة في عدِّ (ربَّ) حرفًا أو اِسمًا، فعند البصريين حرف جر، والكوفيين اِسم كما اِختلفوا في معناها، فقيل أنَّها للتقليل وهذا مذهب أكثر النوحيين، وقيل للتكثير، وغير ذلك من المعاني، وذهب الجمهور أنَّها حرف تقليل ذلك أنَّها وردت في مواضع لا تحتمل إلَّا التقليل[5] .

---

[1]/- يوسف الصّيداوي :الكفاف كتاب يعيد صوغ قواعد اللُّغة العربيَّة، ج1، ص :483، 484 .

[2]/- اِبن هشام الأنصاري :مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب، تح :عبد اللَّطيف محمد الخطيب، دار الفكر، الكويت، ط1 (1421هـ/2000م)، ص :179 .

[3]/- المرجع، ص :178 .

[4]/- الحسن بن قاسم المرادي :الجنى الداني في حروف المعاني، ص :457 .

[5]/- ينظر :المرجع نفسه، ص :448 .

من خصائص (ربَّ) عند النحويين أنَّ الفعل الذي تتعلَّق به يجب أن يكون ماضيًّا، تقول ربَّ رجل كريم لقيت، ولا يجوز "سألقى" وإنَّما لزم مضيُّ فعلها؛ لأنَّها جواب لفعل ماضي، وقيل لأنَّها للتقليل، فأولوها الماضي؛ لأنَّه قد تحققت قِلَّته، وذهب بعض النحويين إلى أنَّه لا يجوز أن يكون ماضيًّا، وحالًا، ومستقبلًا[1] .

و(ربَّ) :"إنَّما تدخل على الجملة الاِسميَّة والفعليَّة التي فعلها ماضٍ، أمَّا ما كان فعلها مضارعًا فيمتنع إلَّا إذا كان بمعنى الماضي[2]" .

قال أبو علي :«لمَّا كانت (ربَّ) لما مضى وجب أن تكون (ربَّما) أيضًا كذلك[3]» ويقول الدكتور فاضل السَّامرائي :«أنَّ النُّحاة يقرّون بأنَّها مختصَّة بالدخول على الفعل الماضي فإذا دخلت على المضارع صرفت معناه إلى المضي[4]» .

وفي دلالته على المُضي حكاية الحال الماضيَّة :إنَّ العدول من الماضي إلى المضارع لإفادة اِستحضار صورة ما مضى؛ لأنَّ المضارع ممَّا يدلُّ على الحال الذي من شأنه أي يشاهد كأنَّه تستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة الماضيَّة العجيبة ليشاهدها الحاضرون، ولا يُفعل ذلك إلَّا في أمر يهتم بمشاهدته لغرابة أو فظاعة أو تنبيه أو تحسين أو تقبيح أو تهويل أو تعظيم أو إهانة أو غيرها كما في قوله تعالى :﴿فَتُثِير سَحَابًا﴾ بعد قوله تعالى :﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ اِستحضارًا لتلك الصورة البديعة الدَّالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة، يعني صورة السَّحاب مسخَّرًا بين السَّماء والأرض[5] .

وذكر الأندلسي أنَّ معناها أن تقدِّر نفسك كأنَّك موجود في ذلك الزَّمان، أو تقدر ذلك الزَّمان كأنَّه موجود الآن، وقال المحقِّق التَّفتازاني :ومعنى حكاية الحال الماضيَّة أن يقدر ذلك

---

[1]/- الحسن بن قاسم المرادي :الجنى الداني في حروف المعاني، ص :451 .

[2]/-محمد إبراهيم عبد السَّلام، ظاهرة العدول في اللُّغة العربيَّة، ص :120 .

[3]/- المرجع السابق، ص :457 .

[4]/- فاضل صالح السامرائي :معاني النحو، ج3، ص :384 .

[5]/- محمد على التهانوي :موسوعة كشاف اِصطلاحات الفنون والعلوم، تح :علي دحروج، تر :عبد الله الخالدي، جورج زيناتي مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ــ لبنان، ط1، 1996م، ج1، ص :692 .

الماضي واقع في حال التكلُّم كما في قوله تعالى :﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُون أَنْبِيَاء الله مِنْ قبل﴾ سورة البقرة الآية/91[1] .

إذن المقصود بحكاية الحال الماضيَّة أن يُعبر بلفظ المضارع أنَّ ما كان في الزَّمان الماضي واقع في هذا الزَّمان كأنَّك تحضره للمخاطب وتصوِّره ليتعجب عنه، ويُفعل هذا في الفعل الماضي المستغرب وحكاية معناه، وليس معناها أنَّ اللَّفظ الذي في ذلك الزَّمان يحكى الآن على ما يُلفظ به .

[1]/- محمد على التهانوي :موسوعة كشاف اِصطلاحات الفنون والعلوم، ص :692 .

الفصل الثَّاني :دراسة تطبيقيَّة:

المبحث الأوَّل :العدول من الفعل الماضي إلى المضارع .

المبحث الثَّاني :العدول من الفعل المضارع إلى الماضي .

مدخل

القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخًا في الإعجاز، أنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الصراط المستقيم، فهو كتاب الله عز وجل المنزل على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه، المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المبدوء بالفاتحة والمختوم بالناس أحكمه الله فأتقن إحكامه وفصله فأحسن تفصيله، وصدق قوله تعالى : <<كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير>> سورة فصلت الآية/3 .

هو الذي لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء وكلما أمعن المتأملون النظر فيه والفكر وجدوا أنفسهم أمام بحر من المعاني لا ساحل له، فمعانيه متجددة حية تتجدد بتجدد الزمان والمكان ومع كونه معجزة بيانية خالدة وهو مع ذلك معجزة تشريعية ربانية لذلك انصرفت إليه جهود علماء اللغة والبيان لمعرفة أساليبه وبلاغة بيانه، إذ نجد التعبير القرآني كثيرا ما يغاير في اِستعمال الأفعال كأن يرد السياق ابتداء بالفعل الماضي ثم يتحول عنه إلى المضارع أو العكس وهذا محور دراستنا، سنتطرق لدراسة العدول الماضي بمعنى المضارع والمضارع بمعنى الماضي في الربع الأخير من القرآن الكريم .

المبحث الأوَّل :العدول من الفعل الماضي إلى المضارع :

1ـ قال تعالى :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحج الآية/63 .

نجد في الآية عدول عن الماضي :فأصبحت، إلى المضارع :فتصبح، فمحل التأمل في البية ليس فعل الإنزال، إنزال الماء نفسه فقط، وإنما مظاهر هذا الفعل وآثاره، ويجعل الأرض مكسوة ثوبا من الاخضرار .

(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) اِستفهام تقرير ولذلك رفع (فتصبح الأرض مخضرة) عطف على أنزل إذا لم نصب جوابًا لدل على عطف الاخضرار كما في قولك :ألم تر أني جئتك فتكرمني، والمقصود إثباته وإنما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان، (إنَّ الله لطيف) يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جل ودق (خبير) بالتدابير الظاهرة والباطنية[1] .

فعل أنزل من السماء ماء الذي هو بصيغة الماضي لأنه قصد من المضارع استحضار تلك الصورة العجيبة الحسنة، ولإفادة بقاء أثر إنزال المطر زمانا بعد زمان كما تقول :
أنعم فلان علي فأروح وأغدو شاكرا له.وفعل تصبح مفرع على فعل أنزل فهو مثبت في المعنى وليس مفرعا على النفي ولا على الاستفهام، فلذلك لم ينصب بعد الفاء لأنه لم يقصد بالفاء جواب للنفي إذ ليس المعنى :ألم تر فتصبح الأرض[2] .

في حين جاء العدول إلى المضارع :فتصبح لِتُثّبتَ المشهد عند نقطة مهمّة، ينبغي للمتلقي عندها ويستحضرها دائما أمام عينيه، ومنه نلاحظ أن العدول هو الحال والاستقبال لأن بقاء أثر المطر زمانًا بعد زمان، فإنزال الماء مضى وجوده واخضرار الأرض باق لم يمضي

---

[1]/- ناصر الدين البيضاوي :تفسير البيضاوي، تح :محمد صبحي حسن حلاق أحمد الأطرش، دار رشيد، دمشق بيروت 1421هـ، 2000م، ج4، ص :77 .

[2]/- محمد الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير، دار التونسيَّة للنشر، تونس، 1984، ج17، ص :318 .

وجاء التعقيب في قوله :(إن الله لطيف خبير) لأن منظر الخضرة في الأرض يشيع البهجة في النفس ولأن الله لطيف بعباده خبير بما يصلح أحوالهم .

2ـ قال تعالى :﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ سورة فاطر الآية/9 .

(والله الذي أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح (فتثيرُ) على حكاية الحال الماضية استحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولأن المراد بيان إحداثها بهذه الخاصية، ولذلك أسنده إليها ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على اِستمرار الأمر (فسقناه إلى بلد ميت) وقرأ نافع وحمزة الكسائي وحفص بالتشديد (فأحيينا به الأرض) بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب فإنه السبب أو الصائر مطرًا (بعد موتها) بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص بما فيهما من مزيد الصنع[1] .

قال الزمخشري في كتابه الكشاف حول سبب هذا العدول "فإن قلت لمَ جاء : فتثيرُ على المضارعة دون ما قبله وما بعده؟ قلت :ليحكى الحال التي تقع فيها إثارة رياح السحاب، وتستحضر تلك الصورة البديعية الدالة على القدرة الربانية"[2].

كما أنّ العدول في صورة الفعل :تثيرُ، سيق لحكاية الحال التي تدلّ على الدهشة والانبهار والإعجاز، فلذلك له دلالة زائدة على الدلالة الأولى، هي استحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة، فمجيء الفعل المضارع خارج السياق يؤدي إلى توليد دلالتين بارزتين في السياق، دلالة تقضي مضيه ودلالة تقتضي

---

[1]/- ناصر الدين البيضاوي :تفسير البيضاوي، ج4، ص :254، 255 .

[2]/- الزمخشري :الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج3، ص :601 .

اِستحضاره لياق أنه الماضي الحاضر أو المضارع التاريخي كما قال فندريس ذلك : اِستعمال شائع في حكاية حيث يسمى بالحاضر التاريخي، وفيه يجد المثقفون سحرًا خاصًا، يقولون بأنه الحاضر أكثر تعبيرًا أو أبلغ، حتى ليجعل المنظر يحيا من جديد أمام عيني القارئ ويرجع بفكرنا إلى اللحظة التي دار فيها الحديث[1] .

3ـ قال تعالى :﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ سورة الشعراء الآية/4 .

جاءت هذه الآية دلالة على رحمة المولى عزَّ وجلَّ بعباده ورأفة بهم، فلو أراد الله أن ينزل آية تجبرهم على الإيمان غصبا لفعل ذلك ولكنه من رحمته سبحانه لا يفعل ذلك لأنه يريد أن يكون الإيمان إختياريا، من يرد فليؤمن ومن لم يرد فله ذلك ولكنه قام بإرسال رسله إليهم وإنزال كتبه عليهم، لتكون له حجة بالغة على خلقه .

جاء في كتاب التحرير والتنوير :"وعطفت فظلت وهو ماضي على المضارع قوله ننزل لأنَّ المعطوف عليه جواب شرط، فللمعطوف حكم جواب الشرط فاستوى فيه صيغة المضارع وصيغة الماضي لأن أداة الشر/ تخلص الماضي لاستقبال ألا ترى أنه لو قيل :إن شئنا نزلنا أو نشأ نزلنا، لكان سواء إذا التحقيق أنه لا مانع من اختلاف فعلي الشرط والجزاء بالمضارعية والماضوية، على أن المعطوف يتسع فيها ما لا يتسع في المعطوفِ عليها لقاعدة :أن يغتفر في الثواني مالا يغتفر في الأوائل كما في القاعدة الثامنة من الباب 8 من مغني اللبيب، غير أن هذا الاختلاف بين الفعلين لا يخلو من الخصوصية في الكلام البليغ وخاصة في الكلام المعجز، وهي هنا أمران :لتفنن بين الصيغتين، وتقرب زمن مضي المعقب بالفاء من زمن حصول الجزاء بحيث يكون خضوعهم للآية بمنزلة حصول تنزيلها فيتم ذلك سريعا حتى يخيل

[1]/- فندريس :اللغة، تر :عبد الحميد الدواخلي محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، (د/ط)، 1950م، ص :138 .

لهم من سرعة حصوله أنه أمر مضى فلذلك قال :فظلت ولم يقل :فتظل، وهذا قريب من استعمال الماضي في قوله تعالى :<<أتى أمر الله فلا تستعجلوا>> سورة النحل الآية/1. كلاهما للتهديد ونظيره لقصد التشويق قد قامت الصلاة[1] .

جاء في كتب التفسير أن الله لو أنزل من السماء آياته لكانت أعناق الكافرين خاضعة له سبحانه وتعالى ولكن لم يشأ ذلك لأنه لن يكون الإيمان غير نافع، وجاء العدول في الآية في الآية الكريمة ليدل على الثبات والاستقرار في الخضوع لله لو أراد أن ينزل آياته .

4ـ قال تعالى :﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ سورة غافر الأية/12 .

إن معرفتنا بزمن هذه القصة التي سردت في سياق الآية تدرك أن الزمن الذي ينتظم جميع الأفعال الواردة هو الزمن الماضي أي أن السياق المفترض للآية يسير على النحو الآتي:

دعي	كفرتم	أشركوا	آمنوا
ماضي	ماضي	ماضي	ماضي

لكن الصورة التي أمامنا تشير إلى حدوث عدول زمني في الفعلين الثالث والرابع على النحو الآتي :

دعي	كفرتم	يشرك	تؤمنوا
ماضي	ماضي	مضارع	مضارع

قال محمد الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير مفسر سبب العدول <<عدل عن جوابهم بالحرمان من الخروج إلى ذكر سبب وقوعهم في العذاب، وإذا قد كانوا عالمين به حين قالوا **(فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا)** سورة غافر الآية/11 كانت إعادة التوقيف عليه بعد سؤال الصفح عنه

[1]/- محمد الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير، ج19، ص :95، 96 .

كناية عن استدامته وعدم استجابة سؤالهم الخروج منه على وجه يشعر بتحقيرهم، وزيد ذلك تحقيقا بقوله :(**فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ**) سورة غافر الآية/11 .

فالإشارة بذلكم إلى ما هو فيه من العذاب الذي أنبأ به من قولهم (**يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ**) سورة غافر الآية/10، وما عقب به من قوله (**فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ**) سورة غافر الآية/11، والباء في (بأنه) للسببية، أي سبب كفرتم إذا دعي الله وحده وضمير بأنه ضمير الشأن، وهو مفسر بما بعده من قوله :(**إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ**) سورة غافر الآية/11 .

فالسبب هو مضمون القصة الذي حاصل سبكه :بكفرهم بالوحدانية وإيمانهم بالشرك وإذا مستعملة هنا في الزمن الماضي لأن دعاء الله واقع في الحياة الدنيا وكذلك كفركم بوحدانية الله فالدعاء الذي مضى مع كفركم به كان سبب وقوعهم في العذاب، ومجيء (وإن يشرك به تؤمنوا) بصيغة المضارع مؤول بالماضي بقرينة ما قبله، وإيثار صيغة المضارع في الفعليين لدلالتها على تكرر ذلك منهم في الحياة الدنيا فإن لتكرره أثر في مضاعفة العذاب لهم[1] .

وكلمة <<دعي>> من الدعاء وهي من التوجيه بالخطاب، والنداء فكل من المعنيين يستعمل فيه الدعاء، فالمعنى هنا يقصد به إذا دعاكم الله بمسمعكم نداء دالا على وحدانية الله وبين الله تعالى بوحدانيَّة في كثير من مواضع في القرآن قوله تعالى :﴿**قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢**﴾ سورة الإخلاص الآية/1 ــ 2. ومعنى كلمة (كفرتم) أي جددت كفرتم أي أنكم كنتم على كفر بعبادة غير الله وعندما جاء الحق إليكم كفرتم به .

نستطيع القول أن هذا العدول ليس بغرض الإخبار فقط فلو كان كذلك لكانت الأفعال (أشركوا، آمنوا) قامت بغرض هذه الوظيفة، لكن السياق القرآني من خلال العدول إلى صيغة

[1]/- محمد الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير، ج24، ص :100 .

المضارع (يشرك، تؤمنوا) يبين اِستمرارية كفرهم ولو تبين لهم الحق، وجاءت الأفعال المضارعة للدلالة على حركة واِستمرارية القيام بنفس الفعل ألا وهو الشرك .

5ـ قال تعالى :﴿**فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ سورة الشورى الآية/36 .

يبين في سياق الآية نوعين من العطاء ،عطاء الدنيا وعطاء زائل وفاني قال تعالى : <<ما عندكم ينفذ وما عند الله باقٍ>> وعطاء الآخرة هو عطاء دائم لا ينتهي قال تعالى : <<وما عند الله خير وأبقى>> نلاحظ الأفعال (أوتيتم، آمنوا) أفعال ماضية والفعل (يتوكلون) مضارع .

ويتعلق قوله :خير وأبقى للذين آمنوا على وجه التنازع، وأتبعت صلة الذين آمنوا بما يدل على عملهم بإيمانهم في اعتقادهم فعطف على الصلة أنهم يتوكلون على ربيهم دون غيره وهذا التوكل إفراد لله بالتوجه إليه في ما تعجز عنه قدرة العبد، فإن التوجه إلى غيره في ذلك ينافي في التوحيد لأن المشركين يتوكلون على آلهتهم أكثر من توكلهم على الله، ولكون هذا متمما لمعنى (الذين آمنوا) عطف على الصلة ولم يؤت معه اسم موصول بخلاف ما ورد بعده[1] .

فالفاء الأولى للتفريع، وما موصلة ضمنت معنى الشرط والفاء الثانية في قوله تعالى (فمتاع الحياة الدنيا) داخلة خبر ما الموصولة لتضمنها معنى الشرط وإنما لم نجد ما الشرطية لأن المعنى على الإخبار لا على التعليق، وإنما تضمن معنى الشرط وهو مجرد ملازمة الخبر لمدلول اسم الموصول كما تقدم نظيره آنفا في قوله (**وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ**) سورة الشورى الآية/30 في قراءة غير نافع وابن عمر[2] .

---

[1]/- محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، ج25، ص :109 .

[2]/- المرجع نفسه، ص :109 .

6ـ قال تعالى :﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُۦ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ سورة ق الآية/16 .

تشير الآية إلى ظاهرة الخلق وهي الدالة على عظمة الله تعالى والتي تعد معيار حاسما لحقيقة وجود الله وحده عزّ وجلّ واليقين بان الله يعلم كل شيء في الأرض والسماء أي أن الله يعلم ما بين الإنسان ونفسه وقوله تعالى :﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ سورة الأنبياء الآية/110 .

وفائدة الإخبار بأن الله يعلم ما توسوس به نفس كل إنسان التنبيه على سعة علم الله تعالى بأحوالهم كلها فإذا كان يعلم حديث النفس فلا عجب أن يعلم ما تنقص الأرض منهم والإخبار عن فعل الخلق بصيغة الماضي ظاهر، وأما الإخبار عن علم ما توسوس به النفس بصيغة المضارع فللدلالة على أن تعلق علمه تعالى بالوسوسة متجدد غير منقضي ولا محدود لإثبات عموم علم الله تعالى، والكناية عن التحذير من إضمار مالا يرضى الله[1] .

7ـ قال تعالى :﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (4) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ سورة الكافرون الآية/4 ـ 5 .

ورد في سياق الآيتين قضية العبادة وهي عبادة الله عز وجل وعبادة الأصنام، ومن خلال السياق يؤكد نفي تحول أحد الطرفين إلى عبادة معبود الطرف الآخر .

ومن مظاهر هذا التأكيد ووسائله الأسلوبية توظيف الجملة الاسمية في سياق النفي (ولا أنا عابد، ولا أنتم عابدون) واختيار اسم الفاعل للإخبار به في الجملتين ولولا هذا الإخبار لما كان للجملة الاسمية أي دلالة على الثبوت، ولهذا فإنها تكون مفرغة من دلالة التأكيد... وهذا يعني أن الجملة الاسمية التي يكون الخبر مسند فيها اسمًا حين تقع في سياق النفي تدل على

[1]/- محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، ج26، ص :299، 300 .

ثبوت نفي الخبر المسند عن المبتدأ المسند إليه فيكون معنى الآيتين :ثبوت نفي عبادة النبي معبود الكافرين وثبوت نفي عبادة الكافرين معبود النبي صلى الله عليه وسلم[1].

قول القرطبي :ولا أعبد ما عبدتم على نفي العبادة منه لما عبدوا في الماضي ثم يقال : ولا أنتم عابدون ما أعبد على التكرير في اللفظ دون المعنى، من قبل أن التقابل يوجب أن يكون ولا أنتم عابدون ما عبدتُ، فعل عن اللفظ عبدتُ إلى أعبد، إشعار بأن ما عُبد في الماضي هو الذي يُعبد في المستقبل[2] .

حيث بينت الآيات أن عبادة الكفار الأصنام والوثنية فانية وستزول، وأن عبادة الله وحده وإتباع رسوله دائمة ومستمرة ولهذا عدول على صيغة الماضي للمضارع، أي تدل على الإستمرارية والتجدد .

المبحث الثَّاني :العدول من الفعل المضارع إلى الماضي :

1ـ قال تعالى :﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ سورة الكهف الآية/47 .

حيث وصفت الآية يوم القيامة وفزع الكفار فيه لما تحقق به وعد الله الذي كانوا يشكون فيه، حيث عدل الفعل (حشرناهم) من الماضي إلى المضارع، حيث قال الزمخشري :فإن قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى؟ قلت :للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز، ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل :وحشرناهم قبل ذلك وْعِدًا لإنجاز ما وعدتم على

---

[1]/- جلال عبد الله محمد سيف الحمادي :العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية لنيل شهادة ماجستير، كلية الآداب واللغات، اليمن، (1428هـ/2007م)، ص :139 .

[2]/- القرطبي محمد بن جرير :الجامع لأحكام القرآن، تح :عبد الله المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ، 2006م ج18، ص :228 .

ألسنة الأنبياء من البعث والنشور[1] .

فالآية تتحدث على يوم القيامة في المستقبل ثم عدلت إلى الماضي من أجل تأكيد تحقق الفعل وتأكيده .

2ـ قال تعالى :﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**﴾ سورة النمل الآية/87 .

موضع العدول في قوله تعالى (ففزع) إذا المتوقع أن يقال (فيفزع) بصيغة المضارع لأنه سيقع في المستقبل وأن هذا الأمر واقع لا محالة والفزع محقق وواقع على أهل السماوات والأرض .

قال صاحب العنيان :(ويوم ينفخ في الصور) للبعث من القبور والحشر، عبر هنا بالماضي في قوله (ففزع) وإن كان لم يقع إشعارا بصحة وقوعه وأنه كائن لا محالة وهذه فائدة وضع الماضي موضع المستقبل[2] .

وبنفخة البعث تبدأ أهوال القيامة واشتداد الكرب على الكافرين فيفزعون ويرتعبون، فإذا ما صدق الله وعده ووعيده في قيام الساعة بأول مراحلها عندها يعلمون ما كذبوه وكفروا به والتعبير عن المعنى معنى المستقبل بلفظ الفعل الماضي جاء تنبيها للذين كذبوا بالبعث على تحقيق وقوعه، يقول الدكتور خالدية محمود جبارة البياع شيرو:<<فإن مقتضى الظاهر فـ :(يفزع) لأنه

---

[1]/- الزمخشري :الكشاف،ج2، ص :726 .

[2]/- ابن حيان الأندلسي الغرناطي محمد بن يوسف :البحر المحيط في التفسير، مر:صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، (د/ط)، (د/ت)، ج7، ص :93 .

مما سيقع، فعبر عنه بلفظ الماضي، تنبيها على أنه في تحقق الوقوع كشئ وقع في الزمن الماضي>>[1] .

يمكننا القول مما سبق أن الفعل الماضي أخبر به عن المضارع لعظمة البعث وهول الأمر وصدق الله سبحانه فيما يتلو ذلك من حساب وجزاء .

3ـ قال تعالى :﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ سورة الأحزاب الآية/8 .

توضح الآية الكريمة سؤال الصادقين أي النبيين المكلفين بتبليغ الرسالة، وبالرغم من علم الله عزّ وجلّ بصدقهم ووفائهم إلا انه يسألهم من أجل في نفوس الذين أرسلوا إليه أي الأمم التي يحاولون للطريق المستقيم ذلك من أجل نصرة الدين الحنيف .

جاءت الآية بصيغة المضارع غير أن تتخللها الفعل الماضي (أعّد) حيث عدل من الفعل المضارع إلى الماضي .

ضمير يسأل عائد إلى الله تعالى على طريقة الالتفات من التكلم إلى الغيبة .والمراد بالصادقين أمم الأنبياء الذين بلغهم ما أخذ على أنبيائهم من الميثاق، ويقابلهم الكافرون الذين كفروا أنبيائهم أو الذين صدقوهم ثم نقضوا الميثاق من بعد ذلك، فيشملهم اسم الكافرين، والسؤال :كناية عن المؤاخذة لأنها من ثواب جواب السؤال أعني أسداد الثواب للصادقين وعذاب الكافرين، وهذا نظير قوله تعالى :(لا يسأل عما يفعل) الأنبياء 23 أي لا يتعقب أحد فعله ولا يؤاخذه على مل لا يلائمه، وقول كعب بن زهير وقيل :إنك منسوب ومسؤول وجملة وأعد للكافرين عطف على الجملة ليسأل الصادقين وغير فيها الأسلوب للدلالة على تحقيق عذاب الكافرين حتى لا يتوهم

[1]/- خالدية محمود جبارة البياع شيرو: التكامل بين النحو والصرف والبلاغة في التفسير القرآني (الزمخشري)، دار الكتب العلمية، لبنان ــ بيروت، (د/ط)، 2019م، ص :133 .

أنهم يسالون سؤال من يسمع جوابهم أو معذرتهم ولإفادة أنهم إعداد عذابهم أمر مضى وتقرر في علم الله[1] .

وجملة وأعد للكافرين عطف على جملة ليسئل الصادقين وغير فيها الأسلوب للدلالة على تحقيق عذاب الكافرين حتى لا يتوهم أنهم يسألون سؤال من يسمع جوابهم أو معذرتهم ولإفادة أن إعداد عذابهم أمر مضى وتقرر في علم الله[2]، دل العدول في الفعل (أعد) إلى الماضي لبيان حدوث الفعل أي أن عقاب الله واقع لا محالة .

4ـ قال تعالى :﴿**وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ سورة الشورى الآية/45 .

وبني فعل يعرضون للمجهول لأن المقصود حصول الفعل لا تعيين فاعله.والذين يعرضون الكافرين على النار هم الملائكة كما دلت عليه آيات أخرى.وضمير عليها عائد إلى العذاب بتأويل أنه النار أو جهنم أو عائد إلى جهنم المعلومة من المقام.وانتصب خاشعين على الحال من ضمير الغيبة في تراهم لأنها رؤية بصرية.والخشوع: التطامن وأثر انكسار النفس من استسلام واستكانة فيكون للمخافة، وللمهابة، وللطاعة، وللعجز عن المقاومة .

جملة ينظرون من طرف خفي في موضع الحال من ضمير خاضعين لأن النظر من طرف خفي حالة للخاشع الذليل، والمقصود من ذكرها تصوير حالتهم الفظيعة، و(من) في قوله تعالى (من طرف خفي) للابتداء المجازي، والمعنى :ينظرون نظرا منبعثا من حركة الجفن الخفية وحذف مفعول ينظرون للتعميم أي ينظرون العذاب، وينظرون أهوال الحشر وينظرون نعيم المؤمنين من طرف خفي .

---

[1]/- ابن حيان الأندلسي الغرناطي :البحر المحيط في التفسير، ج8، ص :456 .

[2]/- محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، ج21، ص :276 .

فتوظيف صيغة الماضي التي تنحصر عن دلالة التحقق والتأكيد، وخاصة حين تكون صورة خارجة عن المألوف، ولا تكتسب صيغة المضارع فعلية لغوية وتؤدي وظيفة توسيع مدى الإنكار وتعميق الشعور بالاستبعاد .

5ـ قال تعالى:﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ سورة الحجرات الآية/7 .

موضع العدول في الآية هو(يطيعكم)، ولكن مقتضى الظاهر أن يقال (أطاعكم) على صيغة الماضي لكن عدل إلى صيغة المستقبل .

يقول ابن مالك :{{فوقع المضارع موقع الماضي لأن الأصل لو أطاعكم فبهذا وقع يطيع موقع أطاع وهو شرط، وقال في ألفيته في باب (لو) وإن المضارع تلاها حرفا إلى الماضي لو يفي كفى}}[1]، وقد ذكر سابقهم ويقول الزمخشري بأن قوله تعالى (يطيعكم) دون أطاعكم يدل على أنهم كانوا يريدون استمرار تلك الحالة ودوام النبي صلى الله عليه وسلم على العمل باستصوابهم[2] .

وقد أيد معظم المفسرين هذا العدول،فالطبري يقول في قوله تعالى:{{لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم}}، أي لنا لكم عنت يعني الشدة والمشقة في كثير من الأمور بطاعته إياكم لو أطاعكم[3]، وأما القرطبي فقال :لو تسارع إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر لنالكم مشقة وإثم[4] .

---

[1]/- ينظر :العدول في اللغة العربية، ص :121 .

[2]/- الرازي محمد فخر الدين :تفسير الرازي التفسير الكبير مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (1401ه 1981م)، ج28، ص122.

[3]/- الطبري :جامع البيان عن التأويل، ج22، ص :290 .

[4]/- القرطبي محمد بن جرير :الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص :314 .

مما سبق يمكننا القول أن التعبير بالمضارع جاء لإفادة الديمومة والإستمرار على أن يعمل ما يرونه صوابا وإنَّ عليه كل ما عن لهم رأي أو بدأت لهم في الأمور براءة أن يخلد إليهم ويفعل ما يعتقدونه حقا، لكن من نعم الله وجود الرسول صلى الله عليه وسلم ميزة وعصمة وحماية بأنهم رسل برتبة، وهذه نتيجة هداية الله وتحبيبه في الإيمان وتزيينه في القلوب وهذا من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى .

6ـ قال تعالى :﴿**إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**﴾ سورة الممتحنة الآية/2 .

فعُدِل عن الفعل المضارع :يودوا إلى الماضي ودّوا، الذي حقه يكون فعلا مضارعًا معطوفا على جواب الشرط :يكونوا ويبسطوا .

حيث ذكر الزمخشري :<<فإن قلت كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله، يقال :وودّوا بلفظ الماضي؟ قلت :الماضي، وعن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب فإن فيه نكتة، وكأنه قيل :ودّوا قبل كل :ودّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني أنهم يردون أن يلحقوا بكم مضارّ بكم الدنيا والدين جميعا من قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض، وردّكم كفارًا وأسبق المضارع عندهم لعلمهم أن الدين أعزّ عليكم من أرواحكم، لأنكم بذّالون لها، والعدو أهمّ شيء عنده أن يقصد شيء عند صباحه >>[1] .

قال ابن جني في كتاب الخصائص :<<أن قمْتَ، قمْتُ، فيجيء بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع، ذلك لأنه أراد الاحتياط للمعنى فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه، حتى كأن هذا قد وقع واستقرّ، لا لأنه متوقع مترقب >>[2] .

---

[1]/- الزمخشري :الكشاف، ج4، ص :523 .

[2]/- ابن الجني أبي الفتح عثمان :الخصائص، تح :محمد على النجار، دار الكتب المصرية، (د/ط)، (د/ت)، ج3، ص :105 .

ترك يودوا إلى اللفظ، إذا لم تكن تحتمل ودادّتهم لكفرهم من الشبهة، ما كان يحتمل كونهم :إن يثقفوهم أعداء لهم وباسطي الأيادي والألسنة إليهم للقتل والشتم، الفعل المضارع شكوك في وقوعه، ولهذا عدل إلى الماضي لأنه يدل على وتحقق وقوع الفعل .

7ـ قال الله تعالى :﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا...**﴾ سورة التغابن الآية/6 .

تتضمن الآية تكليف إلاهيا لرسل مختارة،من أجل هداية الناس وحثهم إلى الطريق المستقيم وعبادة الله عز وجل فقابلوهم بالاستنكار .

عدل الفعل (فقالوا) إلى المضارع لأن فاسم الإشارة عائد إلى المذكور من الوبال والعذاب الأليم فهذا أعد لكفر آخر من وجوه كفرهم وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم بالقرآن الكريم فإن القرآن بينة من البينات لأنه معجزة، والباب السببية فالجملة في موقع العلة والضمير الشأن لقصد تهويل ما يفسر، وهو جملة كانت تأتيهم رسلهم بالبينات إلى آخرها والاستفهام في أبشر استفهام إنكار إبطال أحالوا أن يكون بشر مثلهم يهدون بشرا أمثالهم وهذا من جعلهم بمراتب النفوس البشرية ومن يصطفيه الله منهم، ويخلقه مضطلعا بتبليغ الرسالة إلى عباده، ولما أحالوا أن يكون البشر أهلا لهداية البشر مثله جعلوا ذلك كافيا في إعراضهم عن قبول القرآن والتدبر فيه... وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لقصد تقوي حكم الإنكار، وقالوا ذلك حتى اعتقدوا فلذلك أقدموا على الكفر برسلهم إذ قد اعتقدوا استحالة إرسال الله إياهم فجزموا بكذبهم .

الرسالة فلذلك فرع عليه فكفروا وتولوا، والتولي أصله :الانصراف عن المكان الذي أنت فيه، وهو هنا الإعراض عن قبول دعوة رسلهم، وتقدم عند قوله تعالى :﴿**ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ**﴾ سورة البقرة الآية/64[1] .

ومنه نلاحظ أن سبب العدول في الأفعال هو أن جميع الرسل التي بعثها الله إلى عباده حظيت بالكفر ولهذا جاءت الأفعال بصيغة الماضي من أجل تبيان أن جميع الرسل مرورا بمرحلة التكذيب وعدم التصديق وهذا من أجل تقوية وتحفيز الرسول صلى الله عليه وسلم في تبليغ الرسالة .

8ـ قال تعالى :﴿**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا**﴾ سورة النبأ الآية/18 ـ 19 .

يرسم السياق القرآني صورة عظيمة من إحدى أهوال يوم القيامة، وهي النفخ في السور وتشقق السماء إلى أبواب مفتحة، وهي إحدى ملامح التبدّل والتغيّر الحاصل للسماء يوم القيامة.

ويوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل وأضيف يوم إلى جملة ينفخ في الصور فانتصب يوم على الظرفية وفتحته فتحة إعراب لأنه أضيف إلى جملة أولها معرب وهو المضارع، وفائدة هذا البدل حصول التفصيل لبعض أحوال الفصل وبعض أهوال يوم الفصل والتعبير بالفعل الماضي على هذا الوجه لتحقيق وقوع هذا التفتيح حتى كأنه قد مضى وقوعه وفتح السماء :اِنشقاقها بنزول الملائكة من بعض السماوات التي هي مقرهم نزولا يحضرون به لتنفيذ أمر الجزاء كما قال تعالى :﴿**وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا (25) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ**﴾ سورة الفرقان الآية/25 ـ 26 . والإخبار عن السماء بأنها أبواب جرى على طريق المبالغة في الوصف بذات أبواب للدلالة على كثرة المفاتح فيها حتى كأنها هي

[1]/– محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، ج28، ص :268، 269 .

أبواب وقريب منه قوله تعالى:(وفجرنا الأرض عيونا) سورة القمر الآية/12 حيث أسند التفجير إلى لفظ الأرض، وجيء باسم العيون تمييزا، وهذا يناسب معنى قراءة التشديد ويؤكده، ويقيد معنى قراءة التخفيف ويبينه[1] .

هذي الصورة مدهشة وغريبة على مجال التصوير البشري غير أننا لا نستطيع تكوينها في الذهن، ولو بجزء بسيط لأنها ظاهرة خارقة العادة، حيث لا يمكننا تصورها في أذهاننا بكل تفاصيلها، ومن هنا ندرك دلالة العدول إلى صيغة الماضي في تأسيس حركة هذه الصورة باتجاه الخلف فهي صورة ماضوية تحققا وإن كانت مستقبلية حقيقة .

[1]/- محمد الطاهر بن عاشور :التحرير والتنوير، ج30، ص :30، 31 .

الخلاصة :

بعد تفسيرات المفسِّرين والنَّحاة، يطيب لنا أن نستكشف الأسرار الدَّفينة والمعاني الخبيئة وراء الإِخبار بالفعل المستقبل عن الماضي، والإِخبار بالفعل الماضي عن المستقبل، لاحظنا أنَّ النَّص القرآني كثيرًا ما يغاير في إِستعمال الأفعال كأن يرد السِّياق إِبتداء بالفعل الماضي ثم يتحوَّل عنه إلى المضارع في السِّياق نفسه وكذلك العكس بأن يتحوَّل المضارع إلى ماضي، هذا الإِنتقال السَّريع بين الماضي والحاضر، جائزًا أسوار الواقع إلى آفاق المستقبل ممَّا يجعلنا دائمي التوقُّع لمغايرة في النَّظم، حيث تتوالد المعاني وتتكاثر الأغراض، بما يجعل المتلقي على كثرة معرفته بفنون البلاغة، وسعة خبرته بضروب التصرُّف في أساليبها عاجزًا عن ملاحقة النَّص القرآني ومواكبته، فضلًا عن مجاوزته والسَّبق إلى غاياته، ولا يتوهَّم مُتوهِّم أنَّ مردَّ ذلك الإغراق والإبعاد، أو إقامة حواجز من غريب الألفاظ وخفاء دلالاتها، وإنَّما مرده إلى كثرة التصرُّف في فنون الكلام ومباغتة المتلقي بما يتوقعه والعدول به عمَّا كان ينتظره؛ هادفًا إلى إثبات فرادة النَّص القرآني، فالقرآن الكريم يتفرَّد بأنَّ قارئه أو سامعه ـ مهما كانت فطنته ودرجة تيقُّنه ـ لا يستطيع أن يسبق النَّص القرآني مجاوزًا لمعانيه وأغراضه، فقد أحكم الله تعالى إعجاز نظمه، وكان التناسق في النظم القرآني المعجز، وجه من وجود إعجازه التي باين بها كلام البشر والجن، كما جذبت معانيه القلوب، وأسرت العقول، وإِستولت على ألباب أولى الألباب .

ومن خلال الآيات القرآنيَّة السَّابق ذكرها، وجدنا أنَّ التعبير عن الحدث الماضي بالمضارع، والتعبير عن الحدث المستقبل بالزمن الماضي له أبعاد بلاغيَّة ومقاصد بيانيَّة بيَّنها المفسرون وعلماء النحو والبلاغة؛ وفسر اِبن الأثير هذا الأمر بقوله :«اِعلم أنَّ الفعل المستقبل إذا أتى به في حالة الإِخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإِخبار بالفعل الماضي، وذلك أنَّ الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة، حتى كان السامع يشاهدُها[1]» .

أمَّا اِبن القيِّم فيرى أنَّ العرب عدلت عن الماضي إلى المضارع لغرض بلاغي، فيقول :«قصدت العرب بالإِخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل لأنَّ الإِخبار بالفعل المضارع إذا أتى به في حالة الإِخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الإِخبار بالفعل الماضي وذلك لأنَّ الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأنَّ السَّامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي[2]» .

الواضح إذن :أنَّ التعبير عن أحداث الماضي بلفظ المضارع جاء لِاستحضار صورة الحدث وجعله مائلًا أمام عين المخاطب لكثرة دلالته على الحال على الحال واِستحضار هذه الصُّورة، وكما يشير ويدلُّ أيضًا على أنَّ على أنَّ الحدث مستمر وغير مرتبط بزمن محدد .

---

[1]/- ضياء الدِّين بن الأثير :المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح :أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة المصريَّة للطباعة والنشر، مصر، (د/ط)، (د/ت)، ج2، ص :145 .

[2]/- محمد إبراهيم عبد السَّلام :ظاهرة العدول في اللُّغة العربيَّة، ص :118 .

ويقول اِبن القيِّم :«الفعل الماضي يخبر به عن المضارع إذا كان الفعل المضارع من الأشياء الهائلة التي لم توجد والأمور المتعاظمة التي لم تحدث فتجعل عند ذلك فيما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه[1]» .

أمَّا اِبن الأثير فيقول :«وفائدته أنَّ الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأنَّ الفعل الماضي يعطي أنَّه قد كان ووجد[2]» .

فالتعبير بالفعل الماضي عن معنى مستقبلي ظاهرة بلاغيَّة تدلُّ على إيجاد الفعل الذي لم يكن قد وقع بعد، ووقوعه موقع المضارع لأنَّ الحدث محقَّق الوقوع .

---

[1]/- محمد إبراهيم عبد السَّلام :ظاهرة العدول في اللُّغة العربيَّة، ص :124 .

[2]/- ضياء الدِّين بن الأثير :المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص :149 .

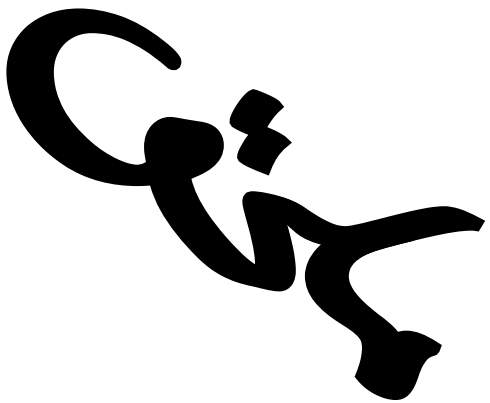

إحصاء العدول في القرآن الكريم من الماضي إلى المضارع في النصف الثاني من القرآن الكريم :

الموضع	الآية	نوع العدول
ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا .	الكهف 47	مضارع . ماضي
ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدًا .	الكهف 49	مضارع . ماضي
ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آيات الله و ما أنذروا هزؤا .	الكهف 56	مضارع . ماضي
ما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم .	الأنبياء 25	ماضي . مضارع
إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام .	الحج 25	ماضي . مضارع
فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق .	الحج 31	ماضي . مضارع
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير .	الحج 63	مضارع . ماضي
ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم .	الحج 65	ماضي . مضارع
ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما	المؤمنون 76	ماضي . مضارع

يتضرعون .		
أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هك الظالمون .	النور 50	ماضي . مضارع
لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورًا .	الفرقان 8.7	ماضي . مضارع
تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورًا .	الفرقان 10	ماضي . مضارع
ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا .	الفرقان 33	مضارع . ماضي
ويوم تشقق السماء بالغمام و نزل الملائكة .	الفرقان	مضارع . ماضي
إن نشأ ننزل عليه من السماء فظلت أعناقهم لها خاضعين .	الشعراء 4	مضارع . ماضي
فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون	الشعراء 45	ماضي . مضارع
إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم .	النمل 23	مضارع . ماضي
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخلين .	النمل 87	مضارع . ماضي
ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزئون .	الروم 10	ماضي . مضارع
ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد .	الروم 12	مضارع . ماضي
ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابًا أليمًا .	الأحزاب 8	مضارع . ماضي

وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا .	الأحزاب 13	ماضي . مضارع
قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون .	سبأ 25	ماضي . مضارع
وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد .	سبأ 53	ماضي . مضارع
والله الذي أرسل الرياح تثير سحابا .	فاطر 9	ماضي . مضارع
إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة .	فاطر 18	مضارع . ماضي
إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم .	فاطر 29	مضارع . ماضي
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يجعله حطاما إن في لذكرى لأولي الألباب .	الزمر 21	ماضي . مضارع
ذلك بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير .	غافر 12	ماضي . مضارع
ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون .	فصلت 17	ماضي . مضارع
وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .	الشورى 36	ماضي . مضارع
وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا .	الشورى45	مضارع . ماضي
... وإنا إذا أذقنا الإنسان منا ورحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور.	الشورى 48	ماضي . مضارع

وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون .	الزخرف 6 ـ 7	ماضي . مضارع
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد .	ق17	ماضي . مضارع
كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما .	الحديد 20	ماضي . مضارع
كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما .	الممتحنة 1	ماضي . مضارع
وإن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم وودوا لو تكفرون .	الممتحنة 2	مضارع . ماضي
ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا .	التغابن 6	مضارع . ماضي
يوم ترجف الأرض وكانت الجبال كثيبا مهيلا .	المزمل 14	مضارع . ماضي
يوم ينفخ في السور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت سرابا .	النبأ 18_19	مضارع . ماضي
وما نقموا منهم غلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد .	البروج 8	ماضي . مضارع
ولا انتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم .	الكافرون 3 ـ 4	مضارع . ماضي
ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد .	الكافرون 4 ـ 5	ماضي . مضارع

خاتمة

لم نتمكن هنا من تناول جميع أبعاد هذه الدِراسة، وإكتفينا بالإشارة إلى المسائل التي رأيناها جديرة بالعناية، ولعلَّنا في النِّقاط الآتيَّة نُجمل ما تعرضنا له :

- التداوليَّة فرع من علة اللُّغة، يبحث عن كيفيَّة إكتشاف السامع مقاصد الكلام، وتهتم بأحوال المتخاطبين والسِّياق الذي يجري فيه الخطاب .
- تسعى التداوليَّة إلى معالجة الكثير من المفاهيم، منها الإستلزام الحواري، المقصديَّة الفعل الكلامي .
- تشترك التداوليَّة وعلم الدلالة في دراسة المعنى في اللُّغة إلَّا أنَّهما يختلفان في كيفيَّة دراستهما .
- تتفق كتب النَّحو والتفسير والبلاغة على دلالة واحدة لمادة (عدل) هي دلالة التحول والإنصراف عن الشيء وتركه إلى غيره .
- كان العدول من أكثر المصطلحات دورانًا وأقواها من المسميات الأخرى التي شاركته في المفهوم كاللَّحن والتغيير والإنحراف والمجاز والخروج عن مقتضى ظاهرة الكلام، وغيرها من الإصطلاحات التي عبَّرت عن مفهوم المصطلح .
- وظيفة العدول هي أن يؤدي إلى تغيير القواعد وتجديدها ومن ثمَّ إحكامها مجددًا .
- أمَّا مجالات العدول التي تحققت في القرآن الكريم هي الصِّيغ، الضمائر، العدد، الأدوات البناء النَّحوي، المعجم .
- فائدة القرائن ووجودها في التركيب وتحديدها للدلالة الزَّمنيَّة من خلال السِّياق، كما أنَّ هذه القرائن أقوى من الصِّيغ في الدلالة على الزَّمن، كما أنَّها نفسها البعض أقوى من

البعض الآخر، والسرُّ في هذا يتعلَّق بِاستخدام العرب لهذه الأدوات وتحديد معانيها، فكل قرينة تفيد العديد من المعاني ذكرها العلماء وخاصة أصحاب التصانيف، والحروف إذا تعدَّدت دلالاتها لا يعرف المعنى المقصود منها إلَّا من خلال السِّياق، فإذا تقرَّر ذلك أدركنا روعة البيان وروعة المعاني، والعجيب أنَّ كل المعاني التي تمَّ ذكرها سابقًا تمَّ تضمينها في هذه القرائن .

- بيَّن البحث الوظيفة التي يؤديها العدول اللُّغوي، وأبعاده الدلاليَّة، وخروجه وخرقه لنظام اللُّغة إلَّا لغرض بلاغي يجعل قواعد اللُّغة أكثر اِتساعًا ومرونة بحسب المراد والمقصود وكل عدول في صورة من صوره تقتضي عدولًا في المعنى، وهذا الاِستعمال الفني هو الذي يدفع اللُّغة إلى الأمام فيجعلها أكثر دقة، وتخصيصًا وغناء ونماء، لا الاِستعمال العامي غير المخصَّص ولا الدقيق، وكلُّ هذا للفت اِنتباه المتلقي وجذبه .

- يستعمل الفعل الماضي والفعل المضارع للتعبير عن أزمنتها الأصليَّة، لكن يُعدَل عن هذا التعبير، الفعل الماضي يأتي بمعنى المستقبل والعكس بالعكس، خصوصًا في السِّياق القرآني فمجيء الأفعال كثيرًا ما يخرج عن النَّم المألوف للُّغة من حيث التصرُّف في أزمنته، وهذا التحوُّل رافقه تحوُّل من حيث المعنى والمبنى .

قائمة المصادر

والمراجع

***القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .**

***قائمة الكتب باللغة العربيَّة :**

(أ)

1) ـ أحمد بن محمد أحمد الحملاوي :شذا العرف في فنِّ الصَّرف، تح :محمد عبد المعطي دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع، الرِّياض، (د/ط)، (د/ت) .
2) ـ أحمد محمد ويس :الإنزياح في منظور الدراسات الأسلوبيَّة، مؤسسة اليمامة الصحفيَّة الرياض ط1، 2003م .
3) ـ إبراهيم السامرائي :الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاني، بغداد، (د/ط)، 1966م .
4) ـ آن روبول، جاك موشلار :التداوليَّة اليوم علم جديد في التواصل، تر :سيف الدين دغفوس محمد الشيباني، دار الطليعة والنشر، بيروت، ط1، 2003م .

(ب)

(ت)

5) ـ تمام حسان :البيان في روائع القرآن (دراسة لغويَّة وأسلوبيَّة للنَّص)، عالم الكتب القاهرة، ط1، 1993م .
6) ـــــــــ اللُّغة العربيَّة معناها ومبناها، دار الثقافة للنَّشر، المغرب ـ الدار البضاء ط1، 1994م .

(ث)

(ج)

7) ـ ابن الجني أبي الفتح عثمان :الخصائص، تح :محمد على النجار، دار الكتب المصرية (د/ط)، (د/ت)، ج3 .
8) ـ جورج يول :التداوليَّة، تر :قصب العنابي، دار العربيَّة للعلوم ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط1، (1431هـ/2010م) .

9) ـ الجوهري إسماعيل بن حماد :الصحاح تاج والصحاح العربيَّة، دار علم للملايين بيروت، ط4، 1990م .

(ح)

10) ـ أبو الحسن أحمد بن فارس الرازي :معجم مقاييس اللغة، تح :عبد السلام محمد هارون الدار الإسلاميَّة، لبنان، (د/ط)، 1900م .

11) ـ الحسن بن قاسم المرادي :الجنى الداني في حروف المعاني، تح :فخر الدِّين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة بيروت ـ لبنان، ط1، (1413هـ/1992م) .

12) ـ حسن منديل حسن العكيلي :الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي والبلاغي، دار الكتب العلميَّة، بيروت ـ لبنان، (د/ط)، 2009م .

13) ـ عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي :الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبيقيَّة، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)، المكتبة العصريَّة للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط1، 2008م .

14) ـ ابن حيان الأندلسي الغرناطي محمد بن يوسف :البحر المحيط في التفسير، مر:صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، (د/ط)، (د/ت)، ج7 .

15) ـــــــــــــ التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، تح :حسن هنداوي كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، دمشق، (د/ط)، (د/ت)، ج1 .

(خ)

16) ـ خالدية محمود جبارة البياع شيرو: التكامل بين النحو والصرف والبلاغة في التفسير القرآني (الزمخشري)، دار الكتب العلمية، لبنان ـ بيروت، (د/ط)، 2019م .

(د)

(ذ)

(ر)

17) ـ الرازي محمد فخر الدين :تفسير الرازي التفسير الكبير مفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، (1401هـ/1981م)، ج28 .

(ز)

18) ـ الزمخشري :أساس البلاغة، تر :محمد جاسل عيوني السود، منشورات دار الكتب العلميَّة، بيروت ـ لبنان، ط1، 1998م .

19) ـــــــــــ الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ج3 .

(س)

(ش)

20) ـ الشريف الجرجاني :التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، (د/ط)، (د/ت) .

(ص)

(ض)

21) ـ ضياء الدِّين بن الأثير :المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح :أحمد الحوفي بدوي بطانة، دار النهضة المصريَّة للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د/ط)، (د/ت) .

(ط)

22) ـ طه عبد الرحمان :تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، ط2، 2005م .

(ظ)

(ع)

23) ـ عبد المحيد أحمد يوسف هنداوي :الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم (دراسة نظرية تطبقيَّة، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة)، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط1، 2008م .

24) ـ أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي :كتاب العين، تح :مهدي المخزومي إبراهيم السامرائي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (د/ط)، 2003م، ج2 .

25) ـ عبد الله خضر حمد :العدول في الجملة القرآنيَّة، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان، (د/ط)، 1999م .

26) ـ علي جابر المنصوري :الدلالة الزمنيَّة في الجملة العربيَّة، دار العلميَّة الدوليَّة ودار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002م .

(غ)

(ف)

27) ـ فاضل صالح السامرائي :معاني النَّحو، شركة عاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط2، 2003م، ج3 .

28) ـ فرانسواز أرمينيكو :المقاربة التداوليَّة، تر :سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1987م .

29) ـ فندريس :اللغة، تر :عبد الحميد الدواخلي محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية (د/ط) 1950م .

(ق)

30) ـ القرطبي محمد بن جرير :الجامع لأحكام القرآن، تح :عبد الله المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط1، 1427هـ، 2006م، ج18 .

(ك)

(ل)

(م)

31) ـ مجمع اللُّغة العربيَّة :معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليَّة، مصر، ط5، 2011م .

32) ـ محمد الطاهر بن عاشور:التحرير والتنوير، دار التونسيَّة للنشر، تونس، 1984، ج17.

33) ـ محمد بن مكرم بن منظور :لسان العرب، مراجعة :أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1999م، ج11 .

34) ـ محمد عبد المطلب :بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي)، دار المعارف القاهرة، ط2، 1995م .

35) ـ محمد على التهانوي :موسوعة كشاف اِصطلاحات الفنون والعلوم، تح :علي دحروج، تر عبد الله الخالدي، جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط1، 1996م ج1 .

36) ـ محمد محمد يونس علي :مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت ـ لبنان، (د/ط)، (د/ت) .

37) ـ محمود أحمد نخلة :آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعيَّة الإسكندريَّة، (د/ط)، 2002م .

38) ـ مسعود صحراوي :التداوليَّة عند العلماء العرب (دراسة التداوليَّة لظاهرة الأفعال الكلاميَّة في التراث اللِّساني العربي)، دار طليعة، بيروت ـ لبنان، (د/ط)، 2005م .

(ن)

39) ـ ناصر الدين البيضاوي :تفسير البيضاوي، تح :محمد صبحي حسن حلاق أحمد الأطرش، دار رشيد، دمشق بيروت 1421هـ، 2000م، ج4 .

(هـ)

40) ـ اِبن هشام الأنصاري :مغني اللَّبيب عن كتب الأعاريب، تح :عبد اللَّطيف محمد الخطيب، دار الفكر، الكويت، ط1، (1421هـ/2000م) .

41) ـ اِبن هشام النَّحوي :شرح شذور الذَّهب في معرفة كلام العرب، تح :محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، (1422هـ/2001م) .

(و)

(ي)

42) ـ يوسف الصِّيداوي :الكفاف كتاب يعيد صوغ قواعد اللُّغة العربيَّة، دار الفكر بدمشق سوريا، ط1، (1420هـ/1999م)، ج1 .

*المجلات والدوريات :

43) ــ مريم أقرين :العدول بالترتيب والنقصان في التركيب الإِسمي بين النحو والبلاغة مجلة الدرسات اللُّغويَّة والأدبيَّة، ع2 ديسمبر 2015م .

44) ــ مسعود صحراوي :الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مجلة الآداب واللغات جامعة ثلجي عمار، الأغواط ـ الجزائر، ع5، ديسمبر 2005 .

*الرسائل الجامعيَّة :

45) ــ جلال عبد الله محمد سيف الحمادي :العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية لنيل شهادة ماجستير، كلية الآداب واللغات، اليمن، (1428هـ/2007م) .

46) ــ فتيحة سوفلي :المقصوديَّة عند عبد القاهر الجرجاني (دراسة تداوليَّة)، إشراف صورية بوصوار، مذكرة لنيل شهادة الماستر كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربيَّة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، (2016/2015م) .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة ..... أ ـ هـ

مدخل تحديد المفاهيم والمصطلحات ..... 1 ـ 8

1ـ تعريف التداوليَّة ..... 1 ـ 3

2ـ نشأة التداوليَّة ..... 3 ـ 4

3ـ مباحث التداوليَّة ..... 5 ـ 7

4ـ علاقة التداوليَّة بعلم الدلالة ..... 7 ـ 8

الفصل الأوَّل :دراسة نظريَّة

المبحث الأوَّل :العدول اللُّغوي، وأهم مجالاته .....10 ـ 20

أوَّلًا :مفهوم ظاهرة العدول ..... 10 ـ 13

1ـ التعريف اللُّغوي ..... 10 ـ 11

2ـ التعريف الاِصطلاحي ..... 11 ـ 13

ثانيًا :وظيفة العدول 13

ثالثًا :مجالات العدول ..... 14 ـ 18

1ـ الصِّيغ ..... 14 ـ 15

2ـ العدد 15

3ـ الأدوات 16

4ـ الضمائر 17

5ـ البناء النَّحوي ..... 17 ـ 18

6ـ المعجم 18

رابعًا :فائدة العدول ..... 19 ـ 20

المبحث الثَّاني :أزمنة الأفعال، الماضي بمعنى المضارع، المضارع بمعنى الماضي ..... 21 ـ 37

أوَّلًا :الفعل الماضي ..... 22 ـ 28

1ـ تعريفه ..... 22 ـ 23

2ـ أزمنته ..... 23 ـ 28

ثانيًا :الفعل المضارع ..... 28 ـ 37

1ـ تعريفه ..... 28 ـ 29

2ـ أزمنته ..... 29 ـ 37

الفصل الثَّاني :دراسة تطبيقيَّة

المبحث الأوَّل :العدول من الفعل الماضي إلى المضارع ..... 40 ـ 47

المبحث الثَّاني :العدول من الفعل المضارع إلى الماضي ..... 40 ـ 55

الخلاصة ..... 56 ـ 58

الملحق ..... 60 ـ 63

الخاتمة ..... 65 ـ 66

قائمة المصادر والمراجع ..... 68 ـ 73

فهرس المحتويات ..... 75 ـ 77